محمد الشرقاوي

الأرض مقابل السلام

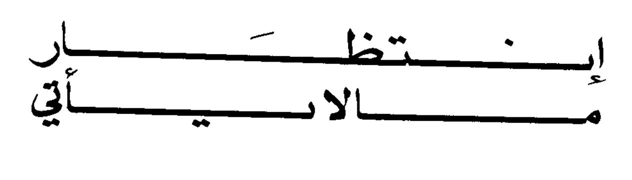
مقالات في الشئون العربية
والسياسة الدولية

محمد الشرقاوي

الأرض مقابل السلام

مقالات في الشؤون العربية
والسياسة الدولية

الغــــلاف : الفنان الغمري عقل
الاخراج الفني : جمــال مــرسي



يبدو أن الحل الذي ينتظر الناس تنفيذه سريعًا لن يأتي سريعًا وما زال أمامنا زمن طويل حتى نرى الحلم يتحقق .. فالصراع الذي يستمر أكثر من ٤٠ عامًا من غير المعقول أن يتم حله في أسبوع بالطرق السلمية.

الحل الوحيد السريع هو الحل العسكري ومع ذلك فإن السرعة تعتبر نسبية.

فإذا نظرنا إلى المشكلة الفلسطينية التي ظلت بلا حل على مدى أكثر من ٤٠ عامًا .. هل نتصور أن يستغرق حلها شهرا أو شهرين يطير خلالهما جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي بين العواصم المهمة التي لها علاقة بحل الأزمة وهي إسرائيل ومصر وسوريا والسعودية والأردن؟

الذي أتصوره هو أن المسألة تحتاج إلى وقت .. وعلينا ألا نغرق في التفاؤل .. ونجلس في انتظار إعلان قيام دولة فلسطينية مستقلة خلال الشهر المقبل أو حتى خلال

هذا العام.

المسألة بواقعية شديدة سوف تستغرق بعض الوقت.

وما دامت الولايات المتحدة تتعامل مع إسرائيل بأسلوب فيه من التدليل الشيء الكثير .. فلا بد أن نتوقع ألا يأتي حل المشكلة الفلسطينية قريبًا ، لقد كان جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي يطير لعدة أسابيع بين العواصم العالمية من أجل أن يجد حلًا للخلافات حول هل يعقد مؤتمر للسلام إقليمي أو دولي .. وما هو شكل التمثيل الفلسطيني في هذا المؤتمر حتى توصل إلى عقد مؤتمر مدريد.

* * *

وأي عاقل يقول أنه ما دام الإسرائيليون وافقوا على مبدأ حل المشكلة وانسحابهم من الأراضي التي احتلوها .. وحق الشعب الفلسطيني في أرضه .. فلماذا هذا التسويف ووضع العراقيل أمام الوصول إلى حل؟

وأخشى أن نتصور أنه قريب ونجلس في انتظاره فيطول بنا الزمن .. أكثر من اللازم ونصبح كمن ينتظر شيئًا لن يأتي أبدًا.

أقول أخشى ذلك .. لأن تجارب الحياة تقول أن المشكلة كلما طال زمنها .. ظهرت عوامل جديدة تغطي على القديم وتظهر مشكلات جانبية تحتاج إلى حلول ونغرق جميعًا في المشكلات أو في الحلول وبمرور الأيام يتحول المؤقت إلى دائم وتظهر أجيال جديدة تبدأ مشوار الحل من أوله وربما بأسلوب مختلف .. وهكذا ظلت المشكلة الفلسطينية دون حل طوال السنوات الماضية.

* * *

الصحافة الأمريكية تحدثت في شهر سبتمبر عام ١٩٩١ عن حلول مقترحة ليس للمشكلة الفلسطينية فقط .. ولكن لمنطقة الشرق الأوسط كلها.

كلام غريب وغامض أحيانًا .. يصب كله في خانة واحدة توضح لنا أن الولايات المتحدة لن تتخلى عن إسرائيل وإنها سوف تحل المشكلة الفلسطينية دون أن تغضبها

صحيفة نيويورك تايمز - كواحدة من الصحف الأمريكية تتحدث في تحليل لها عن

الشرق الاوسط الذي وصفته بانه منطقة الغاز ووصفته بانه قطع متناثرة على مائدة تحتاج إلى وضعها جانب بعضها البعض خي يكون لها شكل متناسق ومفهوم.

ويرى السياسيون الغربيون ان ازمة الكويت ادت إلى تثوير الفكر السياسي العربي .. واعادت إيران إلى التواصل مع العالم وادت إلى رؤية مختلفة في السياسة الفلسطينية.

ويقترحون ـ كما تنشر الصحافة الامريكية أن يتم إعداد شبكة إقليمية من اتفاقيات السلام بحيث تشمل إسرائيل وتضمنها القوى الكبرى في العالم.

* * *

والفكر السياسي الأمريكي كما عبر عنه هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأسبق ومهندس اتفاقيات المصالحة السياسية بين مصر وإسرائيل .. يقول أن الحل الذي ينتظرد العرب لن ياتي.

كيسنجر يتشكك أساسا في إمكانية أن يعقد مؤتمر دولي يعيد إسرائيل إلى حدود عام ١٩٦٧ ويحدد وضعا جديدا للقدس .. ويقنع العرب بقبول إسرائيل.

وهو يرى انه إذا عقد مؤتمر دولي فإن الولايات المتحدة ستكون معزولة لانها ستجد نفسها تلقائيا تقوم بدور ما في إسرائيل بعد أن تتعرض لضغوط الدول الأخرى وبالذات فرنسا .. وامامنا ما فعلته فرنسا من ضغوط خلال أزمة الكويت.

وإسرائيل نفسها ستعتبر أن كل قرار تتخذه الولايات المتحدة ضد رغبتها يعتبر خيانة لمصالحها ولهذا ترى أنه من الأفضل أن تبعد نفسها عن هذا المؤتمر المشكلة.

وإذا كان هذا التحليل يبدو مؤسفًا للعرب .. فما هو الحل؟

كيسنجر يرى أن أفضل حل هو عملية دبلوماسية أطرافها الولايات المتحدة والدول العربية «المعتدلة» طبقًا لتعبيره وإسرائيل .. هؤلاء الأطراف الرئيسيون ويمكن اختيار أطراف أخرى هامشية.

ألا يفسر لنا هذا الكلام السياسة الأمريكية؟

دعونا إذن ننبش الفكر السياسي الأمريكي:

كيسنجر يرى أن عودة إسرائيل إلى حدود عام ١٩٦٧ موضوع غير قابل للتفاوض ويكاد يقول أنه مستحيل .. لأن المسافة بين نهر الأردن والبحر أقل من ٨٠ ميلًا والممر

بين تل ابيب وحيفا وفقًا لحدود عام ١٩٦٧ لا يزيد عرضه على ١٠ أميال ومن الصعب وفي أصعب الظروف حصر دولتين في هذه المساحة المحدودة.

فإذا أضفنا إلى ذلك التحدي السيكولوجي لدى العرب ضد بقاء إسرائيل فإن قيام دولة فلسطينية يصبح كلامًا أشبه بالحلم ..

وكلام كيسنجر ليس أمرًا مطلقًا .. بل فكر ربما يكون هناك من يسعى لتطبيقه .. وعلينا نحن العرب أن نكون حذرين منه ..

إن حل المشكلة بأيدينا .. وتطويلها بلا حلول في أيدينا أيضًا !! علينا أن نتحرك بذكاء لا أن نجلس ونحلم بأن وطنا فلسطينيًا على مرمى حجر .. وأن مشكلة العرب الأولى تم حلها بالزيارات المكثفة والأماني والشعارات .

علينا أن نتحرك بسرعة حتى لا نكون كمن ينتظر ما لن يأتي أبدًا !

الأرض مقابل السلام .. بعد ١٥ عاماً

قلت من قبل أن عملية السلام في الشرق الأوسط ليست قريبة كما يتصور البعض وتوقعت الا يأتي حل المشكلة الفلسطينية سريعًا.

واتصور أن هذا الحل قد يأتي بعد ١٥ سنة على الأقل .

لقد استغرقت عملية السلام بين مصر وإسرائيل حوالي تسع سنوات منذ عام ١٩٧٣ بعد الانتصار العظيم في ٦ أكتوبر من ذلك العام وما أعقبه من وقف اطلاق النار والدخول في مفاوضات كامب ديفيد التي انتهت باستعادة مصر لجميع أراضيها التي احتلتها إسرائيل وهو الهدف المنشود حاليًا من كل التحركات الحالية في منطقة الشرق الأوسط .. والعالم .

ان عملية السلام بين مصر وإسرائيل تمت عن طريق المفاوضات الثنائية واستغرقت ٩ سنوات .. أما الآن فنحن أمام عملية أكبر من كامب ديفيد شكلاً ومضمونًا .. حيث

تشارك فيها أكثر من دولة وتتضمن استرجاع أراض عديدة وسينتج عنها تغيير شامل لخريطة المنطقة كلها ..

عملية السلام تشارك فيها اسرائيل كطرف . الطرف الآخر يتكون من عدة دول سوريا والفلسطينيين والأردن ولبنان .. فإذا تصورنا أن جميع هذه الدول ستحصل على حقوقها وتنسحب إسرائيل من الأراضي التي تحتلها حاليًا .. مقابل أن ينهي العرب جميعًا حالة العداء معها ويقيمون معها علاقات دبلوماسية عادية .. ولا اتحدث هنا عن اعتراف العرب باسرائيل لأنهم اعترفوا بها يوم قبلوا القرار ٢٤٢ ومنظمة التحرير الفلسطينية على لسان زعيمها ياسر عرفات وافقت على حق اسرائيل في الوجود.

* * *

أقول أن العملية بهذا الحجم وهذه المكاسب التي ستعود على أطرافها سوف تستغرق بالتأكيد وقتًا أطول مما استغرقته اتفاقية كامبد ديفيد. ويكفي أننا منذ انتهت حرب تحرير الكويت لم نتفق على الخطوة الأولى في عملية السلام والخلاف استمر عدة شهور على الموعد وعلى الوفد الفلسطيني وعلى قضية القدس والمستوطنات ولم تثر إسرائيل قضية لبنان وهو ما يعني أن شيئًا لن يتحقق قريبًا باستثناء أول حقنة تسكين والمتمثلة في عقد المؤتمر الدولي للسلام والمفاوضات الثنائية ثم المفاوضات متعددة الأطراف والعودة ثانيًا إلى المفاوضات الثنائية.

إن مبدأ السلام مقابل الأرض لا بد أن يتحقق ذات يوم لأن الحق ينتصر لا محالة .. لكن في ظل الظروف العربية الراهنة يحتاج الأمر إلى سنوات عديدة .. اتمنى ألا تزيد على ١٥ عامًا.

إن عملية السلام الحالية معقدة ومتشابكة وكل طرف هو مزيج من المشكلات التي تحتاج إلى حل.

إن الفلسطينيين مطالبون قبل غيرهم بحسم موقفهم وَالمتتبع لتاريخ القضية الفلسطينية يلاحظ أنها على مدى السنوات الماضية كانت تدخل في منعطفات كثيرة بأيدي أهلها .. قبل أن تكون بأيدي الأعداء.

لقد قدم اسحق شامير رئيس الحكومة الاسرائيلية السابقة شروطًا عديدة للولايات المتحدة الأمريكية مؤكدًا أن تنفيذها لا بد أن يتم قبل بدء المفاوضات مع الدول العربية .. تتضمن هذه الشروط أن توقع الولايات المتحدة على بروتوكول يضمن أن تعمل واشنطن بصورة تتفق مع المطالب الإسرائيلية .. أيضًا تصر إسرائيل على ألا يضم الوفد الفلسطيني شخصيات تنتمي إلى منظمة التحرير الفلسطينية .. وألا يشترك في المؤتمر أي فلسطيني ممن أبعدهم الجيش الإسرائيلي من الضفة الغربية وغزة. أو ممن يقيمون في القدس الشرقية التي ضمتها إسرائيل وتعتبرها عاصمتها ولن تدخل في المفاوضات وهذه أخطر الشروط الإسرائيلية.

أيضًا تضمنت الشروط الاسرائيلية أن يعلن الفلسطينيون استعدادهم للعيش في سلام مع إسرائيل وقبول مبدأ المحادثات المتوازية بين إسرائيل والعرب وبين إسرائيل والفلسطينيين.

وقالت إسرائيل أن عربيًا من الضفة والقطاع يمكن أن يشاركوا في وفد أردني فلسطيني مشترك بشرط أن يجلسوا تحت العلم الأردني ويكون رئيس الوفد أردنيًّا وهو الوحيد المسموح له بالحديث.

وأعطت إسرائيل لنفسها الحق في الاعتراض على أي عضو فلسطيني في الوفد الأردني الفلسطيني المشترك إلا أن منظمة التحرير بدورها رفضت كل هذه الشروط وعرضت خمسة مبادىء قالت في بيان أصدرته في تونس أن هذه المبادىء هى التي ستضمن نجاح المؤتمر الدولي للسلام.

أولًا: أن يكون هدف المؤتمر تنفيذ قراري مجلس الأمن رقمي ٢٤٢ ، ٣٣٨ اللذين ينصان على انتهاء الاحتلال الإسرائيلي والتعهد بانسحاب إسرائيل من كل الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية.

ثانيًا : الاعتراف بالحقوق المشروعة والوطنية للشعب الفلسطيني وأهمها حق تقرير المصير.

ثالثًا : أن تكون المشاركة الفلسطينية بموجب قرار تتخذه منظمة التحرير الفلسطينية مع رفض أي تدخل خارجي.

رابعًا: رفض استبعاد القدس كقضية خلال أي خطوة في عملية السلام.

خامسًا: وقف المستوطنات فورًا داخل كل المناطق المحتلة وبصفة خاصة القدس.

وفي إحدى زيارات بيكر للمنطقة حاول التوصل إلى حل بشأن مشكلة التمثيل الفلسطيني .. وعقد خلال زيارته لإسرائيل اجتماعا مع عدد من الشخصيات الفلسطينية من الأراضي المحتلة التي قد تكون مرشحة في المحادثات ضمن الوفد الفلسطيني وهي .. فيصل الحسيني رئيس مركز الدراسات العربية في القدس وحنان عشراوي استاذة الأدب الإنجليزي بجامعة بير زيت وزكريا الآغا نقيب أطباء غزة.

وخرج هؤلاء الثلاثة ليؤكدوا من جديد ان منظمة التحرير هي التي ستقرر تشكيل الوفد الفلسطيني في مؤتمر السلام وقالوا انهم اجتمعوا مع بيكر بقرار من المنظمة إلا أن اسرائيل رفضت من جانبها أن يكون فيصل الحسيني مثلا أحد الشخصيات المشاركة في الوفد .. وعادت لتكرر أن الوفد لا بد أن يخلو من أي شخصية لها صلة بالمنظمة ومن جانبها عادت المنظمة لتكرر شروطها السابقة وتؤكد أن أحدا لن يتحدث إلا بموافقة المنظمة.

الرئيس المصري حسني مبارك حسم المسألة في كلمات بسيطة حين أعلن أن على المنظمة ألا تتمسك بالشكليات وألا تتكلم أكثر مما تعمل .. وقال أنه إذا كان هدف المنظمة أن يكون أفراد الوفد الفلسطيني أعضاء في المنظمة .. فلا يجب أن تعلن ذلك بمناسبة وبدون مناسبة لأن ذلك يخلق لها دعاية مضادة تستغلها إسرائيل في وضع عقبات أمام عقد مؤتمر السلام.

ان الدنيا كلها تعرف أن أي فلسطيني لن يشارك في الوفد بدون موافقة المنظمة .. الجميع يعرف ذلك .. فلماذا تعلن المنظمة ذلك بين وقت وآخر .. أن عليها أن تخطط وتستفيد من كل الظروف المحيطة بها ولا تعطي لاسرائيل فرصة تستغلها ضد الفلسطينيين.

ومن جانبه أكد الملك حسين عاهل الأردن أن التمثيل الفلسطيني قضية تخص الفلسطينيين وحدهم ودعا إلى ضرورة مشاركة فلسطينيين من داخل وخارج الأراضي المحتلة.

ورغم أن بيكر زار المنطقة ٧ مرات فإن مشكلة التمثيل الفلسطيني لم تجد حلًا وسطا .. وان كان بعض المراقبين يقولون أن بيكر يسعى لاقناع الفلسطينيين بعدم الاصرار على ضرورة وجود أحد فلسطينيي القدس الشرقية في المرحلة الأولى من مباحثات السلام مقابل الضغط على إسرائيل للموافقة على أن يكون فيصل الحسيني في الوفد .

ومؤتمر السلام شهد انتعاشًا في عام ١٩٩١ على يد جيمس بيكر حين أعلن بوش بعد تحرير الكويت أن هناك أربعة أهداف سيسعى إلى تحقيقها وهي وضع نظام أمني جديد في الخليج .. وخفض معدلات التسليح في المنطقة والعمل على دفع اقتصاد الدول المثقلة اقتصاديًا .. والعمل على عقد المؤتمر الدولي للسلام لتحقيق مبدأ الأرض مقابل السلام في الشرق الأوسط .

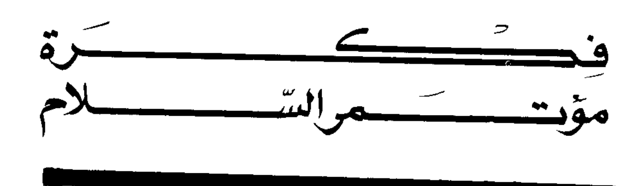
بعد ذلك أعلن بيكر مبادرة لعقد مؤتمر السلام يضم إسرائيل ومصر وسوريا ووفدًا أردنيًا فلسطينيًا مشتركًا وتقوم واشنطن وموسكو برعاية المؤتمر بحضور مراقبين من كل من المجموعة الأوروبية والأمم المتحدة ومجلس التعاون لدول الخليج العربية.

وتضمنت مبادرته أو أفكاره حول مؤتمر السلام أن هذا المؤتمر سيبدأ بجلسات افتتاحية تستغرق يومين تعقبها مباحثات ثنائية بين إسرائيل وكل طرف من الأطراف العربية خلال اسبوعين من الجلسات الافتتاحية هدفها بحث المشكلات القائمة بين إسرائيل والأطراف العربية مثل وضع هضبة الجولان وباقي الأراضي المحتلة ومشكلات المياه والبيئة والتسليح والجنوب اللبناني المحتل ولانجاح هذه المبادرة قام بيكر بسبع جولات للمنطقة الأولى كانت من يوم ٨ إلى ١٦ مارس ١٩٩١ وكانت استكشافية بدول المنطقة حيث التقى خلالها مع فلسطينيين من الأراضي المحتلة.

ثم قام بجولتين خلال شهر أبريل ١٩٩١ بدأهما يوم ٧ أبريل واعتبرهما المراقبون جولتين فاشلتين بسبب التعنت الاسرائيلي وعدم تجاوب الحكومة الاسرائيلية مع الأفكار المعروضة وتمسكها بانشاء المستوطنات ولم ييأس بيكر حيث عاد للمنطقة في الجولة الرابعة يوم ١١ مايو حيث التقى مع بسمرتنيخ وزير الخارجية السوفيتي في ذلك الوقت .. وتم اللقاء في القاهرة.

وكانت الجولة الخامسة هي أهم الجولات لأنها جاءت بعد الرد الإيجابي السوري على عقد المؤتمر مما ساعد بيكر على الضغط على إسرائيل للحصول على رد ايجابي مماثل من تل أبيب.

أما الجولة السادسة فجاءت بعد قمة بوش وجورباتشوف حيث وجها الدعوة لعقد المؤتمر وسعى بيكر خلالها لبحث مشكلة التمثيل الفلسطيني والتى دعته إلى القيام بجولته السابعة.



فكرة مؤتمر السلام

فكرة المؤتمر الدولي للسلام لم تنبع من فراغ .. ولم تظهر في السنوات الأخيرة .. لقد كانت أول صيغة لمشاركة دولية في تسوية المشكلة الفلسطينية هي القرار رقم (١٩٤) الذي صدر في ١١ ديسمبر عام ١٩٤٨ عن الأمم المتحدة الذي دعا لتشكيل لجنة التوفيق الدولية لفلسطين من ثلاث دول، وقد اختار مجلس الأمن هذه اللجنة من فرنسا والولايات المتحدة وتركيا وكان من مهام هذه اللجنة إقامة علاقات حسنة بين أطراف النزاع وتوسيع نطاق المفاوضات والبحث عن اتفاق من خلال المفاوضات التي تتم مباشرة أو مع لجنة التوفيق بهدف التوصل إلى تسوية لجميع المسائل المعلقة.

وكانت الخطوة الأولى لهذه اللجنة هي دعوة الحكومات العربية بعد توقيع اتفاقيات الهدنة ـ إلى عقد مؤتمر في بيروت يوم ٢١ مارس ١٩٤٩ حيث اتفقت هذه الحكومات على التمسك بتنفيذ قرار الأمم المتحدة الخاص بحق اللاجئين في العودة إلى وطنهم والمحافظة

على حقوقهم .. وكان الرد الإسرائيلي هو الرفض حيث علقت حل مشكلة اللاجئين على التسوية النهائية لقضية فلسطين .. التي لم تحلها حتى الآن

وحاولت اللجنة التوصل إلى حل وسط بين الطرفين . فدعت إلى مؤتمر في لوزان يوم ٢٦ أبـريل عام ١٩٤٩ حيث وافق العرب والاسرائيليون على أن تقوم المباحثات بين الطرفين على عدة أسس منها:

١ - التقسيم مع التعديلات لاعتبارات فنية.

٢ - تدويل القدس .

٣ - عودة اللاجئين وتعويض من لا يرغبون في العودة .

وقد وافقت اسرائيل على هذه الأسس في أول الأمر .. حتى يتم قبولها عضوًا في الأمم المتحدة لأنها بعد ذلك تنكرت لها ولهذا فشل مؤتمر لوزان وانتهت اللجنة إلى تشكيل لجنة فرعية لوضع برنامج لتقديم المساعدات للاجئين.

ودخلنا منذ ذلك اليوم في متاهة عقد المؤتمر الدولي للسلام حتى دعا إليه الرئيس المصري السابق أنور السادات يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ في مجلس الشعب المصري في مبادرة من خمس نقاط دعا فيها إلى مؤتمر السلام وكان القرار رقم ٣٣٨ الذي أصدره مجلس الأمن وانعقاد مؤتمر جنيف في ديسمبر عام ١٩٧٣ هو استجابة لاقتراح السادات.

وعاد الزعيم السوفيتي الأسبق ليونيد بريجنيف ليعيد المطالبة بعقد المؤتمر الدولي في خطابـه بالمـؤتمـر السادس والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي الذي انعقد في موسكو يوم ٢٣ فبراير ١٩٨١م.

وقبل أن نتحدث عن أسباب فشل مؤتمر جنيف للسلام عام ١٩٧٣ نعود إلى الجذور الأولى للتعنت الاسرائيلي.

ودون الدخول في تفاصيل مملة نبدأ بفشل مؤتمر لوزان عام ١٩٥١ حيث كانت لجنة التوفيق قد دعت حكومات مصر والأردن ولبنان وسوريا وإسرائيل إلى ارسال ممثلين لها للمـؤتمر وفشل المؤتمر في الجلسة الافتتاحية بسبب المناورات الاسرائيلية التي كان هدفهـا عدم تمكـين الحكـومـات العربية من الخروج بأي حل. كما أن الغرب ساند الاسرائيليين في الحفاظ على الحالة الراهنة - وقتها - في محاولة لابعاد أي نفوذ سوفيتي .. حيث اصدرت الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا بيانًا مشتركًا في ٢٥ مايو عام ١٩٥٠

عرف بالبيان السياسي تعهدت فيه بالمحافظة على الاوضاع القائمة في الشرق الأوسط. وحاولوا فرض الاحلاف العسكرية على المنطقة مثل مشروع قيادة الشرق الاوسط في ١١ يناير ١٩٥١ .. وضم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا .. ودعوا الدول العربية للانضمام إليه .. ومثل حلف بغداد الذي ظهر في ٢٤ فبراير ١٩٥٥ وكان يضم تركيا وإيران وبريطانيا وباكستان وبغداد.

وفي ٢٦ أكتوبر ١٩٥٢ تقدم المندوب النرويجي في الامم المتحدة بمشروع يناشد العرب وإسرائيل بالامتناع عن القيام باية أعمال عدائية وحث الحكومات المعنية بالنزاع على الدخول في مفاوضات مباشرة.

وفشل هذا المشروع لان الدول العربية أصرت على اجراء المفاوضات في إطار القرارات السابقة للجمعية العامة للأمم المتحدة بينما أصرت إسرائيل على أن تبدأ المفاوضات على أسس جديدة دون العودة إلى القرارات السابقة.

وفي عام ١٩٥٣ تولى الرئيس الأمريكي دوايت ايزنهاور رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية وأعلن وزير خارجيته جون فوستر دالاس أن بلاده تنوي معالجة الخلافات العربية الاسرائيلية بموضوعية أكثر . وفي يونيو من نفس العام حدد المبادىء التي قال أنها تعالج الخلافات بموضوعية، وتضمنت تأييد البيان الثلاثي لعام ١٩٥٠ ودعا الأطراف المعنية بالنزاع إلى تحقيق السلام في المنطقة.

وأكد ضرورة اعادة بعض اللاجئين وادماج القسم الأكبر منهم في الدول العربية المجاورة. كما أكد أن اسرائيل جزء من المنطقة وليست غريبة عنها وعلى الجميع أن يفهم ذلك، ورغم ذلك رفضت اسرائيل هذه المبادىء لأنها تنص على اعادة بعض اللاجئين .. فعاد دالاس في أغسطس عام ١٩٥٥ ليعلن أسس تسوية جديدة في الشرق الأوسط وتضمنت:

- اعادة تسكين ٩٠٠ ألف لاجىء في الحدود الممكنة عمليا من خلال استصلاح الأراضي القابلة للزراعة لكي يجد (اللاجئون) المسكن والعمل المناسبين.
- الولايات المتحدة الأمريكية مستعدة للاشتراك في معاهدات رسمية لردع أية محاولة من الجانبين (العرب واسرائيل) لتعديل الحدود بالقوة على أن يسبق هذه الخطوة اتفاق على الحدود .. فالحدود الحالية رسمت على أساس اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ وليست دائمة.

وبعد ذلك بأسبوعين كان الرد الاسرائيلي على هذه الأسس جاهزًا لأنه يحقق أحلامها تقريبًا حيث اعلنت اسرائيل بعض التعديل عليه إذ اكدت ان اتفاقيات الهدنة لن تعدل إلا في حدود تعديلات متبادلة على حدود جيرانها العرب وأكدت أنها لن تقدم تنازلات من طرف واحد.

ورفض العرب بالطبع هذا الهذيان الاسرائيلي .. فراح ابا ايبان المندوب الاسرائيلي في الأمم المتحدة ليؤكد اصرار بلاده على تثبيت الوضع القائم في الحدود.

وفي ١٤ ابريل ١٩٥٥ بدأت مرحلة جديدة .. حيث أعلن انطوني ايدن أنه ليس من الممكن اجراء تسوية بين العرب وإسرائيل إلا إذا شملت تسوية مشكلات اللاجئين والحدود ومياه نهر الأردن.

وقال ايدن أن العرب يستندون في موقفهم على قرار التقسيم وقرارات الأمم المتحدة وإسرائيل تستند على اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩، وهذه الفجوة في الموقفين يمكن حلها من خلال تقديم بعض التنازلات من الطرفين .. إلا أن اسرائيل رفضت مشروع ايدن كله وزعم بن جوريون في خطابه بالكنيست أن ما أسماه (غزو الدول العربية لأرض اسرائيل في حرب ٤٨ جعل جميع قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين لاغية وبدون أية امكانية لاعادتها إلى الحياة).

وفي عام ١٩٦٧ قامت اسرائيل باحتلال اراض عربية اكثرها في مصر وسوريا. استعادتها مصر ابتداء من ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بانتصار الجيش المصري على الاسرائيليين بعد العبور العظيم وتحطيم خط بارليف .. وكما بدأ انور السادات معركته العسكرية وخرج منها منتصرًا بدأ معركة أخرى سياسية انتهت باتفاقيات كامب ديفيد التي حصلت بها مصر على بقية اراضيها.

ونعود إلى الدعوة الأولى لعقد المؤتمر الدولي للسلام في جنيف لنرصد الاسلوب الاسرائيلي في عرقلة عقده.

بدأت العقبة الأولى بما اثارته اسرائيل حول دور الأمم المتحدة في المؤتمر .. فهي - اسرائيل - تريد أن يكون لها دور هامشي لأن الأمم المتحدة منحازة إلى الموقف العربي بسبب قراراتها.

كانت اسرائيل تريد أن يعقد المؤتمر تحت اشراف الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وان يحضر كورت فالدهايم سكرتير عام الامم المتحدة في ذلك الوقت .. كمراقب فقط وليس كعضو.

أيضًا رفضت اسرائيل ان يكون لاوروبا اي دور في المؤتمر.

وأعلنت اسرائيل رفضها الدخول في أي مناقشات حول اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمر مؤكدة انها تتفاوض مع دول وليس منظمات.

واصرت على عدم الاشارة إلى الفلسطينيين في الدعوة لحضور المؤتمر وقالت انهم يمكن أن يحضروا ضمن الوفد الأردني وكل هذه الاعتراضات اثارتها من جديد إسرائيل خلال الجولات السبع التي قام بها بيكر للمنطقة.

بقيت نقطتان اثارتهما اسرائيل قبل انعقاد مؤتمر جنيف وهو أنه إذا لم تسلم سوريا لاسرائيل قائمة باسماء أسرى الحرب الموجودين لديها فإن اسرائيل لن تشترك في المؤتمر مع سوريا وستتفاوض مع مصر والأردن فقط.

وكان الرد السوري هو عدم الاشتراك في المؤتمر إلا إذا كان هناك جهد جاد لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الذي ينص على وقف اطلاق النار والبدء فورًا في محادثات سلام تحت الاشراف المناسب.

وقالت سوريا في بيان اصدرته يوم ١٨ ديسمبر ١٩٧٣ ان اسرائيل تعمل على تحويل المؤتمر إلى ميدان للمناورات تركز فيه على قضايا جانبية كي يضيع الهدف الرئيسي الذي ينعقد من أجله المؤتمر وهو تنفيذ قرارات الأمم المتحدة.

وكانت النقطة التي اثارتها اسرائيل أيضًا هي أن الحكومة ليست حرة في الالتزام بأية تعهدات بخصوص مستقبل اسرائيل وهي تقف على أبواب الانتخابات، وقد يفوز حزب المعارضة بالحكم .. وكان الرد المصري والأردني هو رفض الاسلوب الاسرائيلي كله.

وتحرك هنري كيسنجر في رحلات مكوكية لانقاذ الموقف وأعلن يوم ١٧ ديسمبر ١٩٧٣ ان اسرائيل وافقت على حضور المؤتمر .

وفي اليوم التالي قام كورت فالدهايم بتوجيه الدعوة إلى مصر وسوريا والأردن واسرائيل بناء على مذكرة من الدولتين العظميين.

وافتتح فالدهايم المؤتمر يوم ٢١ ديسمبر من نفس العام حيث تأخر موعد الجلسة الافتتاحية ٤٠ دقيقة بسبب خلاف نشب في اللحظات الأخيرة حول طريقة جلوس الوفود داخل المؤتمر.

وتم احتواء الأزمة على أساس سباعي يترأسه فالدهايم وعلى يمينه الوفد المصري وعلى يساره الوفد الاسرائيلي وعلى يمين الوفد المصري جاء الوفد الأمريكي ثم الأردني وعلى يسار الوفد الاسرائيلي جاء الوفد السوفيتي ثم مائدة الوفد السوري شاغرة بعد أن رفضت سوريا حضور المؤتمر.

استغرقت الجلسة الأولى ٣ ساعات ثم رفعت وعقدت جلسة أخرى وتضمنت الجلستان كلمات وزراء خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ومصر والأردن واسرائيل وعقدت الجلسة الثالثة يوم ٢٢ أغسطس وكانت مغلقة واستغرقت ٢٠ دقيقة فقط .. وانتهى المؤتمر دون أن يصل إلى أية حلول شاملة حتى الآن لقد استمرت مصر حتى وصلت إلى كامب ديفيد وتلكأت إسرائيل فلم تحل بقية المشكلات .

الطريق الطويل والصعب نحو السلام

بدأت خطوة أخرى في المشوار الطويل والصعب على طريق السلام في منطقة الشرق الأوسط في مؤتمر مدريد.

الذين يعرفون حقيقة الاسرائيليين يقولون ان التفاوض معهم ليس سهلاً .. انه طريق يستغرق عبوره سنوات عديدة .. وعشرات المئات من الأوراق التي تحدد الخطط والخرائط ووجهات النظر والاقتراحات والقوانين وتفسير القوانين في الخلافات العربية الاسرائيلية.

الرئيس المصري حسني مبارك أعلن قبل أيام من عقد مؤتمر مدريد - ١٩٩١ - ان انعقاد مؤتمر السلام لا يعني ان مشكلات الشرق الأوسط قد تم حلها .. بل يعنى اننا نبدأ مشوارًا صعبًا نحو حل المشكلات.

والرئيس الأمريكي جورج بوش .. حذر من التفاؤل الزائد بامكانية حل المشكلات فورًا .. حتى هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الاسبق قال هذا المعنى رغم أنه اعرب عن تفاؤله باتفاق العرب واسرائيل على عقد مؤتمر السلام.

وجيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي وبوريس بانكين وزير الخارجية السوفيتي (في ذلك الوقت) اكدا أيضًا نفس هذا المعنى.

إذن نحن أمام مشوار صعب ويستغرق عدة سنوات للوصول إلى حل .. ولا بد أن نتوقع الكثير من العقبات التي تضعها اسرائيل .. لكي تؤخر أي حل لأن هذا الحل بكل المقاييس سوف يكون ضد أهدافها وأحلامها إذ انها سوف تنسحب من الأراضي العربية ولا بدّ أن تغير استراتيجيتها في المستقبل .. لأنها ستكون دولة لها حدود معترف بها ..تقيم علاقات مع جيرانها.

حتى اللهجة العدائية التي تسيطر على زعماء اسرائيل لا بد أن تختفي لتحل محلها النوايا السلمية والبحث عن علاقات آمنة ومستقرة مع العالم العربي وهذا لا يأتي بسهولة لأنها تعرف أن بعض الدول العربية ما تزال حتى الآن ترفض ذلك .. أي ان عليها ان تنسحب من الأرض العربية المحتلة وتقيم علاقات مع بعض الدول العربية بينما تعيش في حالة عداء مع بعض الدول الأخرى.

من أجل كل ذلك لا بد أن نتوقع عقبة اسرائيلية في كل خطوة من خطوات المفاوضات لكي تمتد إلى عدة سنوات.

ان هذه هي العقلية الاسرائيلية التي يمكن أن نكتشفها حين ندرسها .. من خلال كتابات المؤلفين الإسرائيليين.

وفي واحد من أهم الكتب الإسرائيلية التي صدرت في السنوات الأخيرة يمكننا أن نتعرف على واحد من أهم الأهداف الاسرائيلية التي تسعى لتحقيقه من دخولها في مفاوضات السلام.

وهذا الهدف هو .. الحصول على اعتراف رسمي من العرب بوجود دولة اسرائيلية .. وهذا يعني وضع حدود لدولتهم.

الكتاب عنوانه (اسرائيل) ألفه عاموس برلموتر وهو كاتب يهودي عمل استاذًا بالجامعة الأمريكية في واشنطن .. ورئيسًا لتحرير عدد من الصحف والمجلات أهمها جريدة الدراسات الاستراتيجية .. وكان عضوًا في الوفد الاسرائيلي لدى الأمم المتحدة.

والكتاب عبارة عن تاريخ سياسي شامل لاسرائيل من وجهة نظر صهيونية ابتداء من وعد بلفور حتى غزو لبنان.

ويبدأ الكاتب بسؤال جوهري هو .. هل هناك حدود نهائية لدولة اسرائيل والاجابة التي ينتهي إليها هو أن الاسرائيليين لم يضعوا حدودًا نهائية لدولتهم .. لأنه لم يكن هناك اعتراف عربي يمنحها الشرعية .. لهذا ظلوا يرددون أن دولتهم تمتد من النيل إلى الفرات وان حدودهم ستصل إلى المغرب العربي .. وهكذا .. شعارات يهددون بها العرب حتى يحصلوا على الاعتراف .. ويعرض الكاتب وجهات نظر للعديد من زعماء اسرائيل ليؤكدوا انهم لم يضعوا حدودًا نهائية لدولتهم فمثلًا تيودور هرتزل يعترف بأنه لم تكن لديه أفكار عن حدود ولا دولة حقيقية .. كان يتحدث فقط عن وطن يجد فيه اليهود مأوى لهم.

وبن جوريون كان من رأيه أن الحدود يجب أن تكون مرنة وليست محددة بشكل نهائي .. كان يرى أن هذه الحدود يجب أن تعتمد على طبيعة واحتياجات اللحظة التاريخية. أما جابوتنسكي (الذي سار على نهجه بيجن) فقد عارض بشدة فكرة أي شكل للتقسيم.

ويرى المؤلف ان تاريخ إسرائيل عبارة عن وصف لجدل كبير وصراع داخلي بين اتجاهات وايدلوجيات مختلفة وقد دخل العرب الحرب في عام ١٩٧٣ ليحرروا ارضهم وهي من وجهة نظر إسرائيل كانت حربًا لتعديل الحدود وهو ما حدث فعلًا عن طريق المفاوضات المباشرة بين مصر واسرائيل .

وحين يتحدث المؤلف عن كامب ديفيد يقول ان الاسرائيليين كانوا يتوقعون من كامب ديفيد سلامًا منفصلًا مع مصر لا أكثر ولا أقل ولم يكن لديهم النية أو الاستعداد للتنازل الاقليمي .

وقد أدت اتفاقية كامب ديفيد إلى تزايد التشقق في السياسة الاسرائيلية حيث فقد بيجن أصوات حزبه في الكنيست .

وكان رأي شيمون بيريز أن اتفاقية الحكم الذاتي في الضفة الغربية سوف تؤدي مباشرة إلى ما يعارضه بيجن وهو تكوين دولة فلسطينية مستقلة يمكن أن ترأسها منظمة التحرير .

ويعود المؤلف ليزعم ان الصهاينة جاءوا من اجل الاستيطان لما اسماه الوطن التاريخي ولم يرسموا ابدا حدودا لاسرائيل فالحدود منذ وعد بلوفر تتحدد عن طريق المفاوضات والعنف بين الصهاينة والجيران العرب.

وحتى تكتسب اسرائيل شرعية من جميع العرب ويمتد كامب ديفيد كما هو مرسوم له فإن حدود الدولة تتوقف على النية الحسنة للعرب وهو ما تسعى اسرائيل إليه من خلال مؤتمر السلام المقبل .. حيث ستنكمش الاطماع الاسرائيلية هذا إذا تحققت أهداف العرب من هذا المؤتمر (١).

---

١ ـ جريدة الراية القطرية ـ ٦ اكتوبر ١٩٩١.

المقبــول والمرفـــوض فـي العــلاقات العربيـة الإسرائيلية

سأل الصحفيون السيد فاروق الشرع وزير الخارجية السوري: هل ستصافح ديفيد ليفي وزير الخارجية الاسرائيلي عند افتتاح مؤتمر السلام الدولي في مدريد .

فقال لهم : بصراحة .. لا.

سألوه : لماذ والمؤتمر هدفه الأساسي اقرار مصالحة عربية مع اسرائيل .

أجاب : إن هذه اليد هي ببساطة يد آثيمة.

ولما لاحظ الدهشة أو عدم الفهم أو عدم الرضا عاد ليقول.

ان هذه اليد التي تريدونني أن أصافحها تحتل أراضينا وتتجاهل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

وعندئذ تدخل جيمس بيكر وزير الخارجية الامريكي الذي كان يحضر هذا المؤتمر الصحفي قبل مغادرته دمشق وقال ضاحكا: انها مسألة وقت .. فمصافحة اليد تأتي لاحقًا.

وهذه ببساطة خلاصة القضية .. كل ما كان يرفضه العرب سيوافقون عليه فيما بعد .. حتى الشكليات . واتصور ان علينا نحن العرب ان نعيد قراءة احداث الفترة التي تمت فيها اتفاقية كامب ديفيد حتى نعرف تسلسل الأحداث المقبلة التي سوف تتبعه اسرائيل .. لقد فعلت كل شيء واستخدمت الحيل والوسائل الممكنة لعلها تفوز بأي شيء من السادات .. وانتهى بها المطاف إلى الانسحاب من جميع الاراضي التي احتلتها في سيناء .. وهي الآن تستخدم تقريبا نفس الأساليب لكي تضغط على العرب لعلها تفوز بشيء، انها تضع العقبات تلو الاخرى في طريق السلام حتى تستنفد جهدًا عربيًا كبيرًا قبل ان يذهب العرب إلى مائدة المفاوضات .. لقد كان السادات ذكيًا واستطاع ان يناور ويواجه الضغوط.

* * *

في مذكرات الدكتور زيجنيو بريجنسكي مستشار الرئيس الامريكي للأمن القومي في الفترة من ١٩٧٧ إلى ١٩٨١ والتي نشرها تحت عنوان القوة والمبدأ يقول : كان الرئيس المصري انور السادات في القدس يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧.

وكان هذا الموضوع هو الشغل الشاغل اليوم .. انه التاريخ الحي مليئًا بدراما الاثارة والانفعالات والعواطف .. لا يملك المرء سوى ان يعجب بزعيم ارتضى الاقدام على كل هذه المخاطر في سبيل قضية اسمى .. وكل اسفي على أن كارتر لم يكن صاحب هذه الخطوة.

وفي صفحة آخرى يقول بريجنسكي انه كان في حفل عشاء عندما تم استدعاؤه للرد على مكالمة هاتفية من البيت الأبيض مرتين كان سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكية قد اقترح وهو في الشرق الأوسط ان يتم ترتيب زيارة للرئيس جيمي كارتر شخصيًا إلى المنطقة .

وبعد أن تحدث مع كارتر ارسل تعليمات منه إلى فانس ليوضح له الموافقة على الفكرة بشكل عام .. ويحثه على أن يمارس ضغطه على بيجين لتقديم تنازلات تكفل تلبية الحد الأدنى من احتياجات السادات وتتجاوز أيضًا الجهود الرامية ببساطة إلى التوصل لتسوية ثنائية بحته بين مصر وإسرائيل .. وإلا فإن الأمر سيبدو كأنما تؤيد الولايات المتحدة من جانبها جهدًا مستقلاً تمامًا تقنع به المصريين والاسرائيليين على سائر الأطراف ومن ثم تترك المساحة مفتوحة أمام السوفييت.

ويروي بريجنسكي كيف أنه اقترح على كارتر أن يقدم على خطوة درامية كأن يطير إلى القاهرة مثلاً ومعه مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل وكيف كان كارتر متشككًا في جدوى هذه الخطوة وقد اقترح أيضًا ان يعلن بيجين في هذه الزيارة الدرامية عن خطوة مدهشة أو يفجر قنبلة سياسية ترضي السادات أو على الأقل تحفظ كبرياءه أمام معارضيه وكانوا كثرة في تلك الفترة .

ويقول بريجنسكي انه حين أعلن عن زيارة بيجين لواشنطن بدأ هو يرتب كل شيء لهذا اللقاء .. كان يتصور أن على الولايات المتحدة أن تقبل أية مقترحات يبديها بيجين حول مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة .. ومن ثم يحولونها إلى ترتيبات انتقالية وهذا هو سبيل القضاء على الهوة الواسعة بين طموحات الفلسطينيين واطماع الاسرائيليين.

كان بريجنسكي يرى أن الترتيب المؤقت أو المرحلي سوف يخلق واقعًا سياسيًا وسيكولوجيًا جديدًا بالنسبة للطرفين بما يتيح امكانية التوصل لحل نهائي .

وحين بدأت مباحثات كارتر وبيجن يوم ١٧ ديسمبر ١٩٧٧ طرح بيجن اقتراحه الذي يقضي بتسوية مع المصريين حول سيناء، وبعد ذلك يتم التحرك إلى الأمام في قضية الضفة الغربية.

* * *

ان بريجنسكي كان واحدًا من مهندسي القرارات السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت ولهذا فإن شهادته هذه تعتبر هامة ومفيدة خاصة ونحن ندخل في مرحلة تشبه إلى حد كبير تلك التي نتحدث عنها الآن مع اختلاف في بعض الشخصيات .. وجوانب القضية ..

وعن ذلك الاجتماع الذي تم بين كارتر وبيجن يقول بريجنسكي انه قام بتذكير كارتر قبل الاجتماع بأهمية ألا يلزم نفسه بأي شيء يقترحه بيجن وأن عليه أن يكون «أبو الهول» .

ويضيف أنه رغم الشعارات التي رفعها بيجن فإن الولايات المتحدة كانت تشعر أن هناك فرصة للسلام لا بد من استغلالها بأكبر قدر ممكن من ممارسة القوة الشخصية والدراما.

ويقول بريجنسكي ان المقترحات التي قدمها بيجن كانت تنقسم إلى ثلاثة تصنيفات:

١ - جوانب سيئة حيث يتحدث فيها بيجن عن ضرورة استمرار الجيش الاسرائيلي في الأراضي المحتلة ورفض العودة إلى قرار ٢٤٢ الذي يتحدث عن الانسحاب من الأراضي العربية .. ورفض الحديث عن تقرير المصير للفلسطينيين.

٢ - جوانب طيبة .. يتحدث فيها عن فترة انتقال مدتها خمس سنوات وعن عدم دمج الأراضي المحتلة وعن تكليف العرب بقدر من إدارة شئونهم.

٣ - جوانب أخرى مطلوب الضغط من أجلها بواسطة الأطراف الأمريكية أو المصرية أو الدولية ومنها إيجاد دور بارز للأمم المتحدة وحمل الاسرائيليين على الحديث عن الانسحاب والتطرق للجانب الفلسطيني من المشكلة.

وقد حث كارتر .. خلال المباحثات .. بيجن على التحلي بالمرونة .. أي لا يقدم مشروعًا جاهزًا للسادات .. ولكن عليه أن يناقش ويفند مقترحاته بالمشاركة مع السادات بحيث يتولد لدى السادات الشعور بأنه شارك في تشكيلها.

ويقول بريجنسكي أنه شخصيًا حث بيجن على الاقلاع عن استخدام عبارات صعبة مثل الحكم الداخلي أو التيسير الذاتي وان يستبدلها بعبارات أفضل ترضي العرب ووسائل الاعلام الدولية مثل «الحكم الذاتي» وهذ هو التعبير الذي استخدمته الصحافة الأمريكية .

وفي الاجتماع الصباحي يوم ٨ ديسمبر ١٩٧٧ استعرض بريجنسكي الموقف مع كارتر حول الشرق الأوسط .. واتفقا على أن الوقت قد حان لكي يتم تسريب «التصور الأمريكي عن مقترحات بيجن للصحافة» مؤكدين بصفة خاصة على الجوانب الايجابية .. وأحيانًا تضخيمها حتى تظهر فعلاً على أنها صيغة أكثر مرونة من مقترحاته بحيث تكون أفضل مما عليه هذه المقترحات في الواقع.

لكن الأمور لم تكن تسير كما خطط لها .. ويعترف بريجنسكي بأن الإدارة الأمريكية لم تمارس من الضغط ما يكفي خلال الصيف الحاسم لكي تحفظ قوة الاندفاع مما جعل المصريين أيضًا يشعرون أن الولايات المتحدة تفتقر إلى الإرادة والعزم اللازمين لدفع الأمور نحو تسوية شاملة في الشرق الأوسط .

هذه كانت مقدمات لما حدث في كامب ديفيد وهو ما نتصور أنه يمكن أن يحدث بشكل أو بآخر في المباحثات بين العرب وإسرائيل مع بعض الاختلافات بفعل تغير الظروف والشخصيات والأجواء العامة .

أما ما حدث في كامب ديفيد .. فله حديث آخر (١).

---

١ - جريدة الراية القطرية - ٢٠ أكتوبر ١٩٩١.

"حوار الطرشان" الذي أنقذه الشرع

الذين تابعوا مؤتمر مدريد للسلام .. لا بد أنهم لاحظوا أنه كان اشبه «بحوار الطرشان» في اليومين الاولين .. فكل طرف ذهب ليجدد مطالبه ويحدد أسلوب الحل الذي يريده.

وجاءت كلمات حيدر عبد الشافي رئيس الوفد الفلسطيني وكامل أبو جابر رئيس الوفد الأردني وفارس بويز رئيس الوفد اللبناني .. جاءت صريحة وان تخللتها بعض العبارات شديدة اللهجة.

وبعد أن القى اسحق شامير رئيس الوفد الاسرائيلي كلمته كان من الواضح انه لا جديد في الموقف الاسرائيلي .. وبالتالي فإن المؤتمر سوف ينتهي كما انتهت محاولات سابقة لحل الأزمة دون حلول ايجابية.

المتفائلون كانوا يعتبرون ان ما حدث بادرة طيبة .. وطالبوا بالانتظار حتى المرحلة الثانية .

حتى جاء اليوم الثالث ليقف فاروق الشرع امام العالم كله الذي يتابع احداث المؤتمر عبر شاشات التليفزيون وبدلا من ان يلقي كلمة معدة مسبقا عن السلام كما خطط لجلسات المؤتمر ارتجل كلمة رائعة نالت الاعجاب واكدت للعالم ان العرب جاءوا إلى مدريد فعلا من أجل هدف واحد وهو البحث عن سلام عادل يعيد حقوقهم المغتصبة.. ولم يأتوا للمشاركة بكلمات حماسية كما توهمت اسرائيل .

كشف فاروق الشرع في حوالي ربع ساعة فقط المعلومات المزيفة التي اجتهد شامير في اقناع العالم بها.

دافع الشرع عن الحقوق العربية ولم يتحدث عن سوريا فقط.

وبلهجة الواثق بنفسه .. وبكلمات رصينة راح يفند الادعاءات التي الصقها الاسرائيليون بالعرب واخرج صورة كانت السلطات البريطانية قد وزعتها في عام ١٩٤٨ فيها مواصفات شامير الارهابي المطلوب للعدالة.

ولم يفلح بوريس بانكين وزير خارجية الاتحاد السوفيتي أو جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي في ايقاف الشرع عن الاستمرار في الحديث بعد أن اقترب من المدة المحددة له وهي ربع الساعة، فقد انتهز الثواني الأخيرة ليفوت الفرصة على الدعاية الصهيونية التي كان يمكن أن تستغل حديثه كله وتحوره .. لتقول ان سوريا لا تتحدث إلا عن الارهاب .. انتهز الشرع اللحظات الأخيرة ليؤكد رغبة سوريا في السلام.

وقال : نحن جئنا من أجل السلام وسوف نستمر في العمل من أجل السلام انطلاقا من ايماننا بهذا السلام.

ونعلن بثقة وتصميم عزمنا على العمل من أجل سلام عادل وشامل يحرر الأرض ويضمن الحقوق والأمن للجميع .. وسوف نستغرب كثيرًا إذا تهرب الجانب الاسرائيلي من متابعة المحادثات الثنائية أو خلقت أعذار من قبله لمنعه من الاستمرار في مدريد.

لقد جاءت كلمة الشرع لتحول الاتهامات كلها لاسرائيل التي تضع العراقيل تلو الأخرى وتصف العرب بصفات غير صحيحة لايهام العالم بأنهم يريدون تدميرها.

انقذ الشرع المؤتمر الذي كان اشبه بحوار الطرشان وأفهم اسرائيل والعالم ان العرب لديهم القدرة على الدفاع عن حقوقهم بكل الوسائل المشروعة .. لقد دافعوا عنها بالحرب

.. حين كانت تلك هي الوسيلة الوحيدة واليوم يدافعون عنها بالمفاوضات.

ان جيمس بيكر وزير الخارجية الامريكي ، مهندس عملية السلام الحالية .. الذي كان يظهر طوال الشهور الماضية كرجل عملي لا يستسلم للمشاعر .. ظهر خلال أيام المـؤتمـر .. وكأنه شاعر أو حكيم يتحدث بلغة مختلفة .. فقد حقق الكثير مما كان يتصوره البعض مستحيلاً .

قال بيكر للصحفيين ان الممنوعات القديمة التي كانت تمنع الاسرائيليين والعرب من الجلوس معًا على نفس المائدة لم تعد قائمة.

ولأن بيكر يعتبر ما حدث حتى الآن نجاحًا للدبلوماسية الأمريكية فقد وصف الوضع الحالي بين العرب واسرائيل قائلاً: ان علينا ان نحبو قبل ان نمشي .. وعلينا ان نمشي قبل أن نسرع الخطى واعتقد اننا بدأنا نحبو اليوم.

وحين لاحظ الصحفيون خلال مؤتمر مدريد أن الوفود العربية والوفد الاسرائيلي لا يتصافحون بالأيدي أو حتى الاشارات .. وان بعضهم يتفادى التقاء الانظار .. سألوا شامير الذي لم يصافحه غير عمرو موسى رئيس الوفد المصري عن ذلك ، فنظر شامير بأسى إليهم وقال كأنه يكشف سرًا .. هذه هي الأوضاع في الشرق الأوسط .. أنهم لا يريدوننا ولا يقبلون أن نعيش بينهم.

وتصور البعض أن شامير يعبر فعلاً عن واقع يسعى إلى تغييره .. وحين استمعوا إلى كلمته في المؤتمر تبددت أحلامهم .. فقد كشف شامير عن وجهه القبيح وعن أحقاده الدفينــة نحـو العرب .. هاجم الجميع وزعم أن اليهود هم أصحاب الأرض وتناسى الحقوق العربية.

ثم جاءت كلمة الشرع في اليوم الأخير لتقلب المائدة على إسرائيل .. وتعيد تصحيح كل الأخطاء التي رددها شامير .

حين يعيد التاريخ نفسه بشخصيات مختلفة !!!

أشعر أن الوقت الآن مناسب تمامًا للعودة إلى التاريخ القريب نعيد قراءته بشيء من التركيز لأن كثيرين من شباب هذا الجيل كانوا في مرحلة متقدمة من العمر يوم تم التوقيع على معاهدة كامب ديفيد .. وبعضنا كان منفعلاً أكثر مما يجب حين كانت أحداث تلك الفترة تتوالى وكان الموقف العربي بشكل عام معبأ ضد الرئيس المصري الراحل أنور السادات فلم ينتبه أحد إلى كثير من المميزات التي كانت في تلك الاتفاقية .. هذا بالإضافة إلى أن الأصوات المتشنجة في ذلك الوقت كانت تتهم مصر بالخيانة واجتهدت في التعتيم على ما حدث في كامب ديفيد وبالتالي فإن ما وصل إلى شبابنا كان فقرات مبتورة واراء مشوهة وأفكار مغرضة هدفها تشويه الدور المصري في حل القضية الفلسطينية.

وبعد أكثر من ١٣ عامًا يعيد التاريخ نفسه .. ولكن بشخصيات مختلفة وكما قال الرئيس المصري حسني مبارك .. لو أن الفلسطينيين كانوا انضموا لكامب ديفيد مع السادات لكانوا الآن قد أقاموا دولتهم المستقلة على أرضهم المحررة ..

١٣ عامًا مضت من عمرنا ولم نتعلم الدرس .

١٣ عامًا من التجارب والمشاحنات والخلافات والانكسارات والانجازات والهزائم والانتصارات على المستوى العربي .. ونعود اليوم لنبدأ من جديد ..
كأننا لا نريد الاستفادة من التاريخ .

ورغم كل ما يمكن أن يقال اليوم فإن هناك حقائق لا بد من التأكيد عليها:

أولاً : ان انعقاد مؤتمر السلام يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٩١ في مدريد هو خطوة جيدة بكل المقاييس فقد وضعت العالم كله أمام الصورة الحقيقية لحجم المشكلة وحجم التعنت الاسرائيلي ومدى استعداد العرب للعيش في سلام.
جلس العرب والاسرائيليون وتخاطبوا من خلال كلمات متبادلة ثم جلسوا بعد ذلك في مفاوضات ثنائية تناقشوا وتبادلوا الآراء .. وتحطم أول حاجز بين الطرفين بعد عشرات السنوات من المقاطعة والحروب والاتهامات المتبادلة .
ثانيًا : حضور وفد فلسطيني مؤتمر مدريد .. وحصوله على الفرصة الكاملة في الرد على الوفد الاسرائيلي وعرض حقوقه المشروعة من جديد .. هو انتصار جديد للقضية الفلسطينية .

ثالثًا : ان ما حدث في مدريد هو خطوة أولى فقط تجرنا إلى طريق طويل وصعب للحصول على حقوقنا باستعادة الأراضي العربية التي تحتلها اسرائيل .. وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على الأرض المحررة.

لكن يبقى سؤال:

هل يستطيع العرب الانتصار على اسرائيل في مفاوضات السلام كما انتصرنا عليها في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

الواقع يقول اننا يمكن أن ننتصر فعلًا كما انتصر عليهم السادات في حرب اكتوبر .. وكامب ديفيد .

انني اتصور ان كامب ديفيد كانت معركة سلمية انتصر فيها السادات .. لأن المحصلة النهائية لكامب ديفيد كانت عودة بقية الأراضي المصرية المحتلة كاملة إلى مصر .. مكسب كبير لمصر .. مقابل تعهد مصري باقامة علاقات حسن جوار وسلام دائم مع اسرائيل .

قالوا ان أنور السادات نفذ حلًا منفردًا مع اسرائيل وخان القضية الفلسطينية وضرب بعرض الحائط الأمة العربية .. إذن تعالوا نقرأ اتفاقية كامب ديفيد لتعرفوا ان القضية الفلسطينية كانت جزءًا من كامب ديفيد.

وانا هنا لا أريد الدخول في محاورات مع حملة الطقوس البالية والذين ما زالوا يعيشون في مرحلة الشعارات التي انتهى زمانها.

انا اتحدث مع العقول التي تؤمن بأمتها العربية وتريد أن تعرف تاريخها الناصع غير المزيف .

ان حرب اكتوبر ١٩٧٣ التي خاضها المقاتل المصري كانت أول حرب اليكترونية في التاريخ .. ولم تكن من وجهة نظر القيادة المصرية هدفا في حد ذاتها .. وإنما كانت وسيلة لتحقيق سلام عادل يعيد الحقوق إلى أصحابها .. ولهذا وقف السادات وهو في قمة انتصاره يوم ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ أمام مجلس الشعب المصري ليعلن استعداده لوقف نزيف الحرب .. ثم يقف مرة أخرى يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٧ في مجلس الشعب أيضًا ليعلن للعالم كله أنه على استعداد للذهاب إلى آخر هذا العالم إذا كان ذلك يمكن أن يحمي واحدا من ابنائه الجنود والضباط.

وفي ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ بدأت الخطوة الكبرى نحو السلام بهبوط السادات على أرض فلسطين المحتلة .. وفي الكنيست الاسرائيلي القى خطابه التاريخي الذي أكد فيه أنه لم يذهب إلى الاسرائيليين ليعقد اتفاقًا منفردًا معهم .. وإنما لكي يحقق السلام العادل والشامل لكل شعوب المنطقة التي عانت ويلات الحروب ما يقرب من ٣٠ عامًا.

ثم عقد مؤتمر كامب ديفيد في الفترة من ٥ سبتمبر إلى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ الذي ضم السادات والرئيس الأمريكي جيمي كارتر ورئيس الوزراء الاسرائيلي مناحم بيجن.

وصــدر عن المؤتمر وثيقتان أساسيتان: الأولى عن إطار السلام في الشرق الأوسط وإقامة الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية وغزة .. أما الثانية فكانت اطارًا لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل تنسحب اسرائيل بمقتضاها من سيناء إلى الحدود الدولية بين مصر وفلسطين عام ١٩٤٨.

وبعد ذلك بدأت جولات عديدة من المفاوضات كانت تنقطع بعد الخلافات ثم تعود مرة ثانيــة .. واستطاع المفاوض المصري خلالها باصراره وصموده أن يقضي على كل العقبات التي كانت اسرائيل تضعها في الطريق .. حتى تم توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل يوم ٢٦ مارس عام ١٩٧٩م.

وبدأ الانسحاب الاسرائيلي من سيناء حيث عادت العريش إلى مصر يوم ٢٥ مايو ١٩٧٩.

لقد تعمدت ان أذكر تفاصيل عملية السلام وتاريخها لكي أوضح ان المسألة لم تتم بين يوم وليلة .. لقد استمرت سنوات عديدة لأن اسرائيل بعد ذلك اختلقت مشكلة طابا حتى اقرت محكمة العدل الدولية حق مصر فيها.

قال الرئيس السادات مخاطبًا مجلس الشعب المصري يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٧ «تذكرون انني لم اتردد في مواجهة اسرائيل بتحدي السلام وحرمانها من سلاح كثيرًا ما أشهرته في وجهنا في المحافل الدولية وحققت به على حسابنا كثيرًا من المكاسب بغير حق اذ ارتدت قناعًا زائفًا واختلست لنفسها على الصعيد الدولي صورة الداعي للسلام المنادي بنبذ الحرب والعنف والدمار وكانت دعوتي للسلام سابقة للحرب ثم مصاحبة وتالية لها.

فقد طرحت من فوق هذا المنبر مبادرة في الرابع من فبراير ١٩٧١ دعوت فيها اسرائيل للقيام بانسحاب جزئي على الشاطىء الشرقي للقناة كمرحلة أولى على طريق جدول زمني يتم وضعه بعد ذلك لتنفيذ باقي بنود القرار رقم ٢٤٢ بالمقابل قلت أننا على استعداد

عنـدئـذ للبدء في تطهير مجرى قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة الدولية خدمة للاقتصاد العالمي.

وعندما كنا في أوج انتصارنا العسكري الخالد توجهت إلى العالم مرة أخرى من فوق هذا المنبر بمبادرة في السادس عشر من اكتوبر ١٩٧٣ دعوت فيها إلى عقد مؤتمر دولي للسـلام في ظل الأمم المتحـدة يشترك فيه ممثلو شعب فلسطين البطل باعتباره طرفًا اساسيًا في القضية .. وكانت تلك المبادرة في الواقع هي الشرارة الأولى التي تولد عنها مؤتمر جنيف

عندئذ وضعت اسرائيل لأول مرة منذ قيامها أمام خيار لا تستطيع الافلات منه أو التلاعب فيه ولا تستطيع المضي في خداع العالم بدعوى أنها راغبة في السلام ولكن العرب هم الرافضون.

وقال السادات وهو يتحدث عن مؤتمر السلام الدولي في جنيف أن هناك عناصر لا غنى عنها لصحة انعقاد المؤتمر وسلامة الاتجاه الذي يأخذه واشير بالذات إلى نقطتين أساسيتين:

الأولى : تمثيل الشعب الفلسطيني تمثيلًا حرًا وحقيقيًا لا دخل لاسرائيل به ولا يد لها فيه.

الثانية : بحث القضية الفلسطينية بشقيها السياسي والإنساني في الاطار السليم بعيدًا عن ضباب الغموض والتجهيل.

وشكر السادات الرئيس الأمريكي جيمي كارتر الذي بذل جهدًا كبيرًا لحل المشكلة ثم أكد أنه سوف يشارك في مؤتمر جنيف .. وارتجل كلمة .. بعد أن خرج عن النص المكتوب لخطابه وقال:

لا يجب ان يخشى جنيف أي عربي أبدًا «ليه» لأن احنا صدرنا ـ كما قلت صدرنا التمـزق .. صدرنـا الخوف .. صدرنا الانهزامية .. صدرنا الشك والريبة كل اللي كنا نعيشه صدرناه إلى المجتمع الاسرائيلي .. لماذا نعيده إلى انفسنا تاني ليه؟

أضاف : أنا جاهز للذهاب إلى جنيف .. بل لا اخفيكم وانتم ممثلو الشعب وعلى

مسمع من شعبنا وعلى مسمع من أمتنا العربية سمعتموني أقول انني مستعد أن أسافر إلى آخر هذا العالم إذا كان في هذا ما يحمي أن يجرح مش أن يقتل، أن يجرح عسكري أو ضابط من أولادى.

أنــا أقـول فعــلاً مستعد أن أذهب إلى آخر هذا العالم وستدهش اسرائيل عندما تسمعني أقول الآن أمامكم انني مستعد أن أذهب إلى بيتهم إلى الكنيست ذاته ومناقشتهم».

وكانت هذه هي القنبلة السياسية التي فجرها السادات وهي تحتاج لحديث آخر.

---

* هذا المقال نشر في جريدة الراية القطرية يوم الأحد ١٠ نوفمبر ١٩٩١ ، العدد ٣٦٩٤ .. وكان أول مقال في سلسلة من ٦ مقالات عن كامب ديفيد أثارت ردود فعل بين القراء وكانت تنشر أسبوعيًا (يوم الأحـد) وبعدها كتبت مقالتين تعليقًا على بعض الردود سواء التي نشرت الراية بعضها أو التي جاءتني في البريد وعبر الهاتف

هكــــذا حــــل المصريــــون
مُشــــكلة المصافحــــة باليــــد

انشغل الصحفيون في اليوم الأول لمؤتمر مدريد ١٩٩١ بموضوع من يصافح من ؟! .. وراحوا يبحثون عمن يمد يده أولاً ..

كان موضوع المصافحات شغلهم الشاغل .. تمامًا كما حدث في المفاوضات الثنائية بين مصر واسرائيل من قبل ..

كيف إذن عولجت هذه المشكلة من قبل .. طالما أنها ما زالت مشكلة سوف تشغل الجميع خلال المفاوضات القادمة .

الفريق أول محمد عبد الغني الجمسي الذي كان رئيسًا لهيئة عمليات القوات المسلحة المصرية خلال حرب ١٩٧٣ والذي اختاره المشير أحمد إسماعيل لاجراء مباحثات الكيلو ١٠١ .. يروي وقائع أول لقاء تم مع الأعداء الذين تحولوا بعد ذلك إلى أصدقاء ..

قال الجمسي : اتجهت ومعي اثنــان لموقــع المباحثات كانت المشكلة هل سنصافح الاسرائيليين أم لا .. وقد سألني الاثنان اللذان صاحباني في هذه المهمة عن ذلك، وكان منهمـا المستشـار عمـر سري من وزارة الخـارجيـة .. فقلت نحن عسكـريون وشرف العسكرية يقتضي أن نرد التحية العسكرية إذا بدأوها هم بصفتهم المستقبلين.

وعندما دخلنا خيمة المباحثات فوجئنا بثمانية عسكريين اسرائيليين يرفعون أيديهم بالتحية العسكرية ثم فوجئت بالجنرال «ياريف» يمد يده ويصافحني وبعده باقي الوفد الاسرائيلي.

لكن الجلسة الأولى كانت تتصف بالتحفظ الشديد من جانبنا على الأقل ..

كان الوقت متأخرًا والجو في منتهى البرودة وكنا نرتدي (الأفرول) وقد دعانا ياريف لتناول الشاي والقهوة لكننا رفضنا .. بل أراد تزويدنا بملابس إضافية اتقاء للبرد فرفضنا.

ثم جاءت الجلسة الثانية وتعددت الجلسات وبدأت الأمور تأخذ شكلاً أقرب للواقع واستمرت عملية المفاوضات بعد ذلك ولكن قبل أن يصلوا إلى الحل كان الطريق طويلاً بدأه السادات في خطابه الشهير حين ألقى قنبلته السياسية في خطابه يوم ٩ نوفمبر عام ١٩٧٧ أمام مجلس الشعب باعلانه استعداده للذهاب إلى إسرائيل لمناقشتهم في الحل السلمي لوقف نزيف الحرب وهو ما تحدثنا عنه في المقال السابق .. جاء يوم ١٧ نوفمبر ١٩٧٧ ليعلن المتحدث الرسمي المصري بيانًا يتضمن موافقة السادات على زيارة القدس لأداء صلاة العيد وكان نص البيان الرسمي الذي أدلى به متحدث رسمي كالآتي :

«وافق الرئيس محمد أنور السادات على زيارة القدس .. وسيؤدي الرئيس صلاة عيد الأضحى المبارك في المسجد الأقصى وستبدأ الزيارة مساء بعد غد السبت ٩ من ذي الحجة عام ١٣٩٧هـ الموافق ١٩ من نوفمبر عام ١٩٧٧ بناء على الرسالة التي تلقاها من الرئيس كارتر مرفقًا بها دعوة حكومة اسرائيل».

وفي صباح الأحد ١٠ من ذي الحجة عام ١٣٩٧ الموافق ٢٠ من نوفمبر ١٩٧٧ كان الرئيس السادات يؤدي صلاة عيد الأضحى المبارك في المسجد الأقصى مع أبناء الشعب الفلسطيني .

وكان الرئيس قد اعتاد أن يؤدي صلاة العيد في شبه جزيرة سيناء بعد أن حررتها حرب رمضان - اكتوبر الظافرة مع الجنود الأبطال والضباط البواسل ومع أهالي شبه جزيرة سيناء .

ولكن نداء السـلام القـائم على العدل قد دعا الرئيس السادات ليذهب هذا العام ليؤدي صلاة عيد الأضحى المبارك بالمسجد الأقصى فلبى النداء.

ورئيس جمهورية مصر العربية حينما يلبي نداء السلام ويقرر الذهاب إلى القدس فإنما يلبيه باسم المطالب المشروعة والعادلة للشعب العربي كله .. ولشعب فلسطين درءًا لاخـطار تهـدد سكان المنطقة .. بل وتهدد الإنسانية كلها بالأهوال وحقنًا لدماء الضحايا والشهداء ووقفًا لنزيف التضحية والجهد والطاقة.

والرئيس السادات وهو المؤمن بعدالة القضية العربية يلبي الدعوة لزيارة القدس باسم المسئولية القومية التي يتحملها متجاوزًا أية حساسية في مواجهة خصومه ومؤمنًا في نفس الوقت بأن طرح الحقائق بشكل مباشر وكما سيفعل الرئيس السادات في لقائه بأعضاء الكنيست بعد ظهر يوم الأحد القادم أقوى في التعبير بها من طرحها بأساليب طويلة ملتوية.

وعندما تتم رحلة السلام في مناخ كالذي تتم فيه: بعد أن استعاد العرب عزتهم بحرب اكتوبر فهي تتم إذن في ظروف لا تحكمها روح الهزيمة ولا تقيدها خشية سوء تفسير خاصة وهي تستهدف الحل الشامل للقضية العربية.

ان المسئولية التاريخية التي يجب أن يتحملها قادة الأمة العربية اليوم أصبحت تحكم عليهم بأن يعملوا على اقرار السلام في المنطقة.

السلام القائم على العدل الذي يستهدف تحرير الأرض العربية التي احتلت بعد هزيمة ١٩٦٧ وتقرير الحقوق المشروعة لعرب فلسطين.

والرئيس السادات يتحمل اليوم مسئوليته القومية ولا يهدر فرصة تسنح له الوصول إلى هذا السلام العادل.

ثم جاء يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ .. ليلقي السادات أبلغ خطاب له ..

خطاب يمتلىء شعرًا وحكمة ..

كلمات كأنها سيمفونية رائعة من الكلمات الموزونة والمحسوبة بدقة وهو موضوع المقال المقبل .

السلام العادل ... أم التسوية السياسية في الشرق الأوسط

كانت كلمات الوفود العربية في مؤتمر مدريد تعزف سيمفونية واحدة هي السلام العادل القائم على عودة جميع الأراضي العربية التي احتلتها اسرائيل وإقامة الدولة الفلسطينية والعيش في سلام حتى تتفرغ دول المنطقة لمعاركها مع التنمية وتحقيق الرخاء لشعوبها.

وهذه هي نفس المعاني التي يتحدث فيها العرب منذ سنوات عديدة وهي نفسها التي تحدث عنها أنور السادات في خطابه أمام الكنيست الاسرائيلي والتي كانت أساسًا لاتفاقيات كامبد ديفيد .

والذي يتأمل ما يحدث الآن ويقارن بين ما حدث في كامب ديفيد سيجد فارقًا ملحوظًا .. فما حدث مع السادات كان سلامًا عادلًا حصلت بموجبه مصر على أرضها بالكامل وحتى حين تلكأت اسرائيل في طابا دخلت مصر في معركة جديدة غير الحرب وغير المفاوضات وهي محكمة العدل الدولية .. وحصلت عل حقها كاملًا ..

أما ما يجري الآن فهو تسوية سياسية نتبادل فيه التنازلات مع اسرائيل .. مع أن الحديث يدور حول سلام عادل .

وقد خرجت أصوات فلسطينية أخيرًا لتتحدث عن أفكار حول اتحاد يضم فلسطين والأردن واسرائيل أي أن فكرة تحرير الأرض الفلسطينية كلها غير مطروحة الآن .. المطروح هو إقامة دولة فلسطينية على جزء من الأرض التي تحتلها اسرائيل .

والتسوية التي تتم حاليًا تعني أننا لن نحصل على حقوقنا بالكامل وقد أكون مغاليًا إذا قلت أنه كان يمكن أن يحدث شيء غير هذا الذي يحدث الآن إذا كان العرب انضموا للسادات في كامب ديفيد بل ربما حدث أيامها ما يحدث الآن .. لأن السادات نفسه تخلى عن شعار إلقاء اسرائيل في البحر .. وتحدث عن اعتراف متبادل وعيش في سلام وهو المنطق العقلاني الذي نتبعه حاليًا.

* * *

كانت كلمات السادات في الكنيست يوم ٢ نوفمبر ١٩٧٧ اشبه بلحن رائع عن السلام العادل الذي يجب أن تحترمه اسرائيل .

قال السادات .. السلام لنا جميعًا .. على الأرض العربية وفي اسرائيل .. وفي كل مكان من أرض هذا العالم الكبير المعقد بصراعاته الدامية المضطرب بتناقضاته الحارة. المهدد بين الحين والحين بالحروب المدمرة تلك التي يضعها الإنسان ليقضي بها على أخيه الإنسان .. وفي النهاية وبين أنقاض ما بنى الإنسان وبين أشلاء الضحايا من بني الإنسان فلا غالب ولا مغلوب .. بل أن المغلوب الحقيقي دائمًا هو الإنسان أرقى خلق الله .. الإنسان الذي خلقه الله كما يقول غاندي قديس السلام .. لكي يسعى على قدميه يبني الحياة ويعبد الله.

وقد جئت إليكم اليوم على قدمين ثابتتين لكي نبني حياة جديدة ـ لكي نقيم السلام وكلنا على هذه الأرض ـ ارض الله كلنا مسلمون ومسيحيون ويهود .. نعبد الله ولا نشرك به احدا وتعاليم الله .. ووصاياه هي حب وصدق وطهارة وسلام .. وشاءت المقادير أن تجيء رحلتي إليكم .. رحلة السلام في يوم العيد الإسلامي الكبير عيد الأضحى المبارك .. عيد التضحية والفداء حين اسلم إبراهيم عليه السلام جد العرب واليهود أقول حين

أمره الله وتوجه إليه بكل جوارحه لا عن ضعف بل عن قوة روحية هائلة وعن اختيار حر للتضحية بفلذة كبده .. بدافع من إيمانه الراسخ الذي لا يتزعزع بمثل عليا تعطي الحياة مغزى عميقًا.

ولعل هذه المصادفة تحمل معنى جديدًا في نفوسنا جميعًا لعله يصبح أملًا حقيقيًا في تباشير الأمن والأمان والسلام.

دعونا نتصارح ونحن نجيب على السؤال الكبير : كيف يمكن أن نحقق السلام الدائم العادل ؟

ان واجب المصارحة يقتضي أن أقول لكم ما يلي :

أولًا : انني لم أجيء إليكم لكي اعقد اتفاقًا منفردًا بين مصر واسرائيل .. ليس هذا واردًا في سياسة مصر .. فليست المشكلة هي مصر وإسرائيل وأي سلام منفرد بين مصر وإسرائيل أو بين آية دولة من دول المواجهة واسرائيل فإنه لن يقيم السلام الدائم العادل في المنطقة كلها بل أكثر من ذلك فإنه حتى ولو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها واسرائيل بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية فإن ذلك لن يحقق أبدًا السلام الدائم الذي يلح العالم كله اليوم عليه.

ثانيًا : انني لم اجيء إليكم لكي اسعى إلى سلام جزئي بمعني أن ننهي حالة الحرب في هذه المرحلة .. ثم نرجيء المشكلة برمتها إلى مرحلة تالية فليس هذا هو الحل الجذري الذي يصل بنا إلى السلام الدائم ويرتبط بهذا أني لم اجيء إليكم لكي نتفق على فض اشتباك ثالث في سيناء أو الجولان والضفة الغربية فإن هذا يعني أننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل إلى أي وقت مقبل.

بل هو يعني اننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام وأننا اضعف من ان نتحمل اعباء ومسئوليات السلام الدائم العادل .

لقد جئت إليكم لكي نبني معًا .. السلام الدائم العادل حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربي أو اسرائيلي.

انتم تريدون العيش معنا في هذه المنطقة من العالم .

وأنا أقول لكم بكل الاخلاص: اننا نرحب بكم بيننا .. بكل الأمن والأمانة أن هذا في حد ذاته يشكل نقطة تحول هائلة من علامات تحول تاريخي حاسم .

لقد كنا نرفضكم وكانت لنا اسبابنا ودعوانا .. نعم.
لقد كنا نرفض الاجتماع بكم .. في أي مكان .. نعم.
لقد كنا نصفكم باسرائيل المزعومة .. نعم.
لقد كانت تجمعنا المؤتمرات أو المنظمات الدولية وكان ممثلونا ولا يزالون لا يتبادلون التحية والسلام .. نعم .. حدث هذا ولا يزال يحدث.
لقد كنا نشترط لأي مباحثات وسيطًا يلتقي بكل طرف على انفراد .. نعم .. هكذا تمت مباحثات فض الاشتباك الأول .. وهكذا أيضًا تمت مباحثات فض الاشتباك الثاني .. كما أن ممثلينا التقوا في مؤتمر جنيف الأول دون تبادل كلمة مباشرة .. نعم .. حدث هذا ولكني أقول لكم اليوم .. وأعلن للعالم كله .. اننا نقبل العيش معكم في سلام دائم وعادل .. ولا نريد أن تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير أو بقذائف الاحقاد والكراهية.
ولقد أعلنت أكثر من مرة أن اسرائيل أصبحت حقيقة واقعة .. اعترف بها العالم وحملت القوتان الاعظم مسئولية أمنها وحماية وجودها .. ولما كنا نريد السلام فعلًا وحقًا فإننا نرحب بأن تعيشوا بيننا في أمن وسلام فعلًا وحقًا.

* * *

وراح السادات يذكر الاسرائيليين بالأوهام التي كانوا يعيشون فيها والدعاية الكاذبة التي اقنعوا العالم بأنها حقيقة.

هذه الأوهام هي الجدار الضخم المرتفع الذي حاولوا ان يبنوه على مدى ربع قرن من الزمان وهو جدار من الحرب النفسية المستمرة والتخويف بالقوة القادرة على اكتساح الأمة العربية من أقصاها إلى أقصاها وكيف روجوا أننا أمة تحولت إلى جثة بلا حراك ولن تقوم للعرب قائمة إلا بعد ٥٠ عامًا ثم قال في حزم «علينا ان نعترف معًا بأن هذا الجدار قد وقع وتحطم في ١٩٧٣ ولكن بقي جدار آخر» هذا الجدار الآخر يشكل حاجزًا نفسيًا معقدًا بيننا وبينكم .. حاجزًا من الشكوك .. حاجزًا من النفور .. حاجزًا من خشية الخداع .. حاجزًا من الأوهام حول أي تصرف أو فعل أو قرار .. حاجزًا من التفسير الخاطىء لكل حدث أو حديث .. وهذا الحاجز النفسي هو الذي عبرت عنه في تصريحات رسمية بانه يشكل سبعين في المائة من المشكلة.

لماذا نورث هذه الأجيــال نتائج سفك الدماء وازهاق الأرواح وتيتم الأطفال وترمل الزوجات وهدم الأسر وانين الضحايا .. لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق أوردها في أمثال سليمان الحكيم .

«الغش في قلب الذين يفكرون في الشر .. أما المبشرون بالسلام فلهم فرح».

والحق أقول لكم ان السلام لن يكون اسما على مسمى ما لم يكن قائمًا على العدالة وليس على احتلال ارض الغير .. ولا يسوغ ان تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم .. وبكل صراحة وبالروح التي حدت بي إلى القدوم إليكم اليوم فإني أقول لكم أن عليكم ان تتخلوا نهائيًا عن أحلام الغزو وأن تتخلوا أيضًا عن الاعتقاد بأن القوة هي خير وسيلة للتعــامل مع العرب أن عليكم ان تستوعبوا جيدًا دروس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئًا.

ولكي نتكلم بوضــوح فإن أرضنا لا تقبل المساومة .. وليست عرضة للجدل : ان التراب الوطني والقومي يعتبر لدينا في منزلة الوادي المقدس طوى الذي كلم فيه الله موسى عليه السلام ولا يملك أي منا ولا يقبل ان يتنازل عن شبر واحد منه وأن يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه.

وبعد أن يؤكد السادات انه يقبل كافة الضمانات التي تريدها اسرائيل لضمان امنها لأنه في المقابل سيأخذ نفس الضمانات يقول : نحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية .. ان الانسحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ أمر بديهي لا نقبل فيه الجدل ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد.

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فليس هناك من ينكر أنها جوهر المشكلة كلها .. وليس هناك من يقبل اليوم في العالم كله شعارات رفعت هنا في اسرائيل تتجاهل وجود شعب فلسطين بل وتتساءل أين هو هذا الشعب ؟ ان قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل أو انكار احد .. والمواجهة المباشرة للمشكلة الفلسطينية واللغة الواحدة لعلاجها نحو سلام دائم وعادل .. هي في أن تقوم دولتهم ..

ومع كل الضمانات الدولية التي تطلبونها فلا يجوز أن يكون هناك خوف من دولة وليدة تحتاج إلى معونة كل دول العالم لقيامها.

وقبل ان ينهي السادات خطابه أمام الكنيست حدد خطة من خمس نقاط للسلام قائلاً .. وتصوروا معي اتفاق سلام في جنيف نزفه إلى العالم المتعطش إلى السلام .. اتفاق سلام يقوم على:

أولاً : انهاء الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية التي احتلت في عام ١٩٦٧.

ثانيًا : تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير المصير بما في ذلك حقه في اقامة دولته.

ثالثًا : حق كل دول المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الآمنة والمضمونة عن طريق اجراءات يتفق عليها تحقق الأمن المناسب للحدود الدولية بالإضافة إلى الضمانات الدولية المناسبة .

رابعًا : تلتزم كل دول المنطقة بادارة العلاقات فيما بينها طبقًا لأهداف ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة وبصفة خاصة عدم الالتجاء إلى القوة وحل الخلافات بينهم بالوسائل السلمية.

خامسًا : انهاء حالة الحرب القائمة في المنطقة .

المفاوضات والمستوطنات والدولة الفلسطينية
مُشـــكلاتٌ من كامبُ ديفيد

وليـام كوانت .. واحد من الذين ساهموا في وضع اتفاقية كامب ديفيد حيث كان عضوًا في المجموعة التابعة لمجلس الأمن القومي الأمريكي عام ١٩٧٨.

ألف كوانت أحد الكتب الهامة وكان عنوانه (كامب ديفيد .. السياسة وصنع السلام) وفيه يقول كلمته للتاريخ عن هذه الاتفاقية التي أثارت كثيرًا من الجدل الذي ما زال مستمرًا رغم مرور كل تلك السنوات.

انه يرى ان اتفاقيات كامب ديفيد التي وقعها يوم ١٧ سبتمبر عام ١٩٧٨ الرئيس المصري أنور السادات ورئيس الوزراء الاسرائيلي مناحم بيجين كانت حدثًا فريدًا له أهمية تاريخية لا يمكن تجاهلها .

وقد اجمع المراقبون السياسيون والمؤرخون رغم الانتقادات التي وجهوها إليها .. على أنها كانت الطريق إلى معاهدة سلام حقيقية بين مصر واسرائيل .. واجمعوا على أن الولايات المتحدة لعبت دورًا حيويًا في سبيل التوصل إلى هذه الاتفاقية حيث ساهمت الولايات المتحدة بجهود مكثفة على مختلف المستويات حتى تم توقيع الاتفاقيات الأربع خلال الفترة من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٧٩.

يقول وليام كوانت أن الرئيس الأمريكي جيمي كارتر تدخل بشكل مباشر في صنع السلام العربي الاسرائيلي خلال اجتماع عقد يوم ٧ مارس ١٩٧٧ مع رئيس الحكومة الاسرائيلية في واشنطن الذي أعلن ان معظم سيناء يمكن أرجاعه إلى مصر مقابل السلام أما المركز الأمامي في شرم الشيخ والواقع عند طرف شبه جزيرة سيناء ، فاسرائيل بحاجة للسيطرة عليه .. وأكد أيضًا أن اسرائيل لا ترغب في التنازل عن مرتفعات الجولان ولا عن الضفة الغربية وأما القضية الفلسطينية فهي ليست لب الموضوع.

ويوم ٤ أبريل ١٩٧٧ التقى كارتر بالسادات الذي قال أنه لا يعترض إذا قدمت الولايات المتحدة على توقيع معاهدة دفاعية مع اسرائيل لكنه اتخذ موقفًا صلبًا من نقطتين: انه لا يمكن أن يبقى جنود اسرائيليون على الأرض المصرية .. وأن مسألة الحدود المفتوحة والعلاقات الدبلوماسية تتصل بسيادة الدولة ولا يمكن أن تكون جزءًا من مقايضة.

واعتبر كارتر أن السادات لوح بالمرونة حول الحل الحاسم المتصل بالعلاقات الطبيعية مع اسرائيل .

وفي يوليو من نفس العام وصل بيجين بعد انتخابه رئيسًا للحكومة الاسرائيلية إلى واشنطن وأكد لكارتر استعداد اسرائيل للتفاوض على أساس القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ . وقال كارتر ان انشاء المستوطنات الجديدة في الأراضي التي تحتلها اسرائيل يمكنها الحاق الشلل بأية فرصة للتفاوض. كما أشار إلى إمكانية مساهمة منظمة التحرير في المفاوضات عبر الوفد الأردني .. إلا أن بيجين رفض ذلك قائلًا أن في وسع الفلسطينيين أن يشاركوا إلى جانب الأردنيين وان اسرائيل لن تتحرى أوراق اعتمادهم بشرط ألا يكونوا من منظمة التحرير .

* * *

وفي يوم ١٩ يوليو من نفس العام اجتمع سيروس فانس مع الوفد الاسرائيلي برئاسة بيجين لمراجعة المبادىء الأمريكية لمشروع السلام حيث اقترح فانس امكانية تشكيل وفد عربي لمجرد افتتاح مؤتمر السلام في جنيف على أن تتحول المفاوضات بعد ذلك إلى مفاوضات ثنائية.

وكانت المبادىء الأمريكية هي:

- الدعوة إلى تسوية سلمية شاملة .
- اعادة التأكيد على قراري الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ كأساس للمفاوضات.
- الدعوة لعلاقات طبيعية وانهاء حالة العداء كجزء من التسوية السلمية .. لكن بيجين قال ان هذا الأمر يصبح لا لزوم له بمجرد الإشارة إلى معاهدات السلام.
- الدعوة إلى انسحاب اسرائيل نحو حدود موافق عليها ومقررة على جميع الجبهات يتم تنفيذه على سنوات ويكون مضمونًا بترتيبات وضمانات أمنية.
- الدعوة لاقامة كيان فلسطيني .. وعلق بيجين على هذه النقطة قائلًا أنه سيكون عليه أن يوافق على الاختلاف .. فهو سوف يقدم الفكرة إلى الحكومة لكنه سوف يعارضها لأنها تفضي إلى دولة فلسطينية تفضي إلى خطر مميت على اسرائيل ومثل هذه الدولة سوف تصير قاعدة سوفيتية فيها طائرات وجنرالات سوفيت حسب زعمه.

* * *

واستمرت المناقشات والاعتراضات والاتفاقات حتى جاءت زيارة السادات لاسرائيل بعد المقدمات التي تحدثنا عنها في المقالات السابقة.

ويقول كوانت ان الأمريكيين تابعوا وهم مفتونون وصول السادات إلى القدس بعد غروب شمس يوم السبت ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ .. لقد كانت مناسبة تاريخية لا تنسى .. فبينما جلس الأمريكيون ملتصقين بأجهزة التليفزيون .. وحطت طائرة السادات في مطار بن جوريون .. ودون أن يعرفهم معظم المشاهدين كان القناصة الاسرائيليون يتمركزون على سطح أحد مباني المطار الأساسية تحسبًا لهجوم مفاجىء قد تقوم به طائرة محملة «بالارهابيين» .. لكن عندما فتح باب الطائرة ظهر الرئيس السادات وهو يلبس بذلة سمراء ضاربة إلى الصفار وعلى وجهه نظرة تنم عن كثير من الكرامة وبمجرد أن وضع قدمه على الأرض بدأ حملته لكسب جمهور غير ميال إلى التصديق وفيما كان يسير مارًا

بمستقبليه قال لخصومه السابقين وجهًا لوجه عددًا من الملاحظات وعندما وصل إلى رئيسة الحكومة السابقة جولدا مائير التي ربطته بها عداوات شهيرة ظهرت على وجهه بسمة كبيرة وهو يحييها.

لقد كانت بداية رائعة لزيارة لم يتوقعها غير القليلين.

* * *

وفي يوم ٢ اكتوبر ١٩٧٨ القى السادات خطابًا في مجلس الشعب المصري عن النتائج التي اسفر عنها مؤتمر كامب ديفيد قال فيه ان نتائج مباحثات كامبد ديفيد هي ثمرة لحدثين جليلين في تاريخ الأمة العربية.

الأول هو حرب رمضان والثاني هو مبادرة السلام المصرية .. فلولا حرب رمضان اكتوبر ما كانت مبادرة السلام .. اذ لم تكن رحلتي إلى القدس ابدًا من موقع ضعف أو اهتزاز .. بل كانت مكللة بكل شرف الأبطال الذين اعطوا أرواحهم وجادتهم مقاتلين من أجل أن يكون على الأرض السلام.

وتحدث السادات عما حدث في كامب ديفيد وقال انه كان هناك مشروع مصري للسلام ومشروع اسرائيلي لم تقبله مصر .. ثم كان هناك موقف أمريكي بين الطرفين سعى لكي يصل إلى خطوات ايجابية تمهد الطريق لاقرار السلام.

وجدد السادات ما كان قد أعلنه من قبل من أنه لم يسع إلى حل منفرد مع اسرائيل وقال ان موقف مصر كان يرتكز على حقائق لم تحد عنها وهي:

● اننا ذهبنا إلى كامب ديفيد، ملتزمين بكل المواثيق العربية والدولية وتحرير كامل للأرض وتمسك بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني وإيمان راسخ بسلام عادل مستقر لا تهزه العواصف أو الأنواء.

● اننا لم نذهب إلى كامب ديفيد لكي نسعى إلى عقد اتفاق منفرد بين مصر واسرائيل .. فليست المشكلة فقط هي مصر واسرائيل .. وأي سلام منفرد مع مصر واسرائيل أو بين دولة من دول المواجهة العربية واسرائيل لن يقيم السلام الدائم العادل في المنطقة كلها .. بل لقد قلت أكثر من ذلك وفي خطابي أمام الكنيست: أنه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة العربية كلها واسرائيل بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية فإن ذلك لن يحقق السلام الدائم الذي يلح العالم كله عليه.

اننا لم نقبل الدعوة إلى كامبد ديفيد لكي نسعى إلى سلام جزئي بمعنى ان ننهي حالة الحرب في هذه المرحلة ثم نرجىء المشكلة برمتها إلى مرحلة تالية. ليس هذا هو الحل الجذري الذي يصل بنا إلى السلام الدائم.

● اننا لم نذهب إلى كامب ديفيد لكي نتفق على فض اشتباك ثالث في سيناء أو سيناء والجولان والضفة الغربية فإن هذا يؤجل فقط اشعال الفتيل في أي وقت مقبل.

ومن أجل هذا سارت المباحثات في خطين متوازيين:

الأول : هو اتفاق لاطار السلام يصلح أساسًا للمباحثات نحو الحل الشامل العادل مع جميع الأطراف العربية وبالتحديد الأردن ولبنان وسوريا ومصر والفلسطينيين.

أما الخط الثاني : فهو اتفاق لاطار السلام يصلح أساسًا للمباحثات نحو معاهدة سلام بين مصر واسرائيل.

* * *

وراح السادات يشرح مضمون وثيقة الاطار الأول للسلام فقال انها تنص على دعوة جميع دول المواجهة العربية : سوريا ، الأردن ، لبنان. للاشتراك في المفاوضات وللوصل إلى معاهدات سلام على نفس الأسس التي قررت اطار المفاوضات نحو الحل الشامل العادل في خطوطه العامة ثم اطار المفاوضات نحو معاهدة السلام بين مصر واسرائيل تضمنت هذه الوثيقة فوق ذلك ـ وثيقة الحل الشامل ـ خطوطًا اكثر تفصيلاً بالنسبة للقضية الفلسطينية. وان تركت للمفاوضات نقاطًا أخرى لا بد أن تتناولها الأطراف المعنية.

والأسس التي حصلت عليها مصر لترتكز عليها المفاوضات المقدر لها ان تجري بين مصر واسرائيل بحيث تنتهي قبل ثلاثة أشهر بالنسبة للانسحاب من سيناء هي نفس الأسس التي تجري عليها المفاوضات بين سوريا واسرائيل بالنسبة للانسحاب من الجولان.

وما يسرى على سيناء يسرى اتوماتيكيا على الجولان.

وبـالنسبة للأردن .. فهي مدعوة للاشتراك في المفاوضات التي تقرر مصير الضفة الغربية وغزة في حضور ممثلي الشعب الفلسطيني أصحاب الأرض وأصحاب السيادة.

وبالنسبة للبنان .. فهي مدعوة للاشتراك في المفاوضات التي تحدد مستقبل السلام بينها وبين اسرائيل.

واطار السلام الأول يضع الأسس للمفاوضات نحو الحل الشامل وهناك وضعان بالنسبة للمشكلة الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني تقديرًا بأن المشكلة الفلسطينية هي جوهر القضية.

الوضع الأول : يتعلق بما يجب أن يتحقق بالمفاوضات بعد ٣ شهور فقط وهو يحدد المبادىء التي تحكم حقوق الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة في فترة انتقالية مدتها خمس سنوات.

الوضع الثاني : خاص بمفاوضات تجرى بعد عامين وقبل انقضاء الفترة الانتقالية بثلاثة أعوام وهو خاص بتقرير مصير الشعب الفلسطيني والقطاع وخارج الضفة والقطاع.

وقال السادات ان مفاوضات الوضع الانتقالي التي يمكن أن تبدأ على الفور تقوم على اقرار الأوضاع الجديدة الآتية:

أولها : حكم ذاتي كامل للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة قائم على الانتخاب الحر.

ثانيًا : انتهاء الحكم الاسرائيلي العسكري والمدني فورًا وبمجرد انتخاب سلطة الحكم الفلسطيني الذاتي.

ثالثًا : ان سلطة الحكم الفلسطيني الذاتي الكامل تحل محل الحكومة العسكرية الاسرائيلية والحكومة المدنية الاسرائيلية في كل ما كانت تباشره من اختصاص.

رابعًا : انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من أرض الضفة والقطاع إلى مواقع محددة لا تتجاوزها لاعتبارات أمن اسرائيل.

خامسًا : يتم على الفور تشكيل قوة شرطة محلية قوية من الفلسطينيين ـ سكان الضفة والقطاع ـ وقد تشمل مواطنين اردنيين على أساس أن عددًا كبيرًا من الفلسطينيين في الضفة والقطاع قد حصلوا على الجنسية الأردنية.

سادسًا : دوريات مشتركة من قوات اردنية واسرائيلية لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود خلال فترة الانتقال وقال السادات ان انهاء الحكم العسكري الاسرائيلي هنا وإقامة الحكم الفلسطيني يعني على الفور اطلاق سراح المسجونين والمعتقلين بالآلاف من الشباب الفلسطيني.

* * *

وعن المفـاوضات التي تجرى بعد عامين وهي المرحلة التالية خلال فترة الانتقال ويشترك فيها ممثلو الشعب الفلسطيني والأردن ومصر واسرائيل فإنها سوف تجرى على الأسس التالية التي نص عليها الاتفاق.

أولاً : المفـاوضـات من أجل حل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها كما نص عليه في الاتفاق. اي الوجه السياسي منها والوجه الإنساني الخاص بمشكلة اللاجئين على أن يجري تحديد الوضع النهائي للضفة والقطاع وعلاقاتها بجيرانها اي تقرير المصير.

ثانيًا : يجب أن يعتـرف الحـل النـاتـج من المفـاوضات بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومتطلباتهم العادلة.

ثالثًا : ترتكز المفاوضات على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل بنوده.

رابعًا : تشكـل لجنة مشتركة من ممثلي الفلسطينيين ومصر والأردن واسرائيل لتقرير السماح بعودة الفلسطينيين الذين نزحوا عن الضفة والقطاع.

خامسًا : تشكيل لجنة من مصر واسرائيل والأطراف الأخرى لوضع اجراءات التنفيذ العاجل والعادل والدائم لمشكلة اللاجئين .. ثم هناك مبدأ بالغ الأهمية في النص وهو أن الاتفاق على الوضع النهائي للضفة وغزة يعرض للتصويت على الفلسطينيين في الضفة والقطاع أي ان للشعب الفلسطيني حق الاعتراض (الفيتو) على هذا الاتفاق وحق رفضه إذا كان لا يجد فيه ما يحقق آماله المشروعة.

وقال السادات ان هذا ما هو ثابت بوضوح في الوثيقة الأولى التي وقعناها في كامب ديفيد اي انه لن يفرض شيء ولا يمكن أن يفرض شيء على الشعب الفلسطيني.
وليتهم صدقوه يومها..

مُشكلة القُدس.. كيفَ عالجتها إتفاقيّاتُ كامبُ ديفيد؟!

لم تكن «القدس» التي تثار حولها ضجة كبرى حالياً .. غائبة عن كامب ديفيد بل كانت جزءًا أساسيًا في الاتفاقيات .. وكان منصوص عليها حتى اليوم الأخير لمباحثات كامب ديفيد .. ولكن أنور السادات وجد أن النص لا يعبر بوضوح كامل عن الحق العربي التاريخي في بيت المقدس .. ذلك الحق الذي يتفق مع آمال ٧٠٠ مليون عربي ومسلم في العالم كله .. في ذلك الوقت فطالب السادات برفع النص ـ عن القدس ـ من الاتفاق وأن يترك الموضوع للمفاوضات وتقرر ان يتبادل السادات مع الرئيس الأمريكي جيمي كارتر الرسائل التي تتناول رأي مصر ورأي اسرائيل ورأي أمريكا في رد الرئيس الأمريكي على رسائل مصر واسرائيل.

وقد اذيعت هذه الرسائل وفيها يقرر الرئيس الأمريكي أن موقف أمريكا من مشكلة القدس هو نفسه موقفها المعلن أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٤ يوليو ١٩٦٧ وهو الموقف الذي أكدته أمريكا أمام مجلس الأمن بعد ذلك في أول يوليو ١٩٦٩ .. هذا الموقف هو أن القدس العربية جزء من الضفة الغربية وأن أي تغييرات قامت بها اسرائيل في القدس العربية لتغيير الأوضاع هي اجراءات باطلة وغير شرعية.

أما الرسالة التي بعثها أنور السادات لكارتر بشأن موقف مصر من القدس فقد تضمنت ٧ نقاط .

أولاً : ان القدس العربية جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية. ويجب احترام واعادة الحقوق العربية الشرعية والتاريخية في المدينة.

ثانيًا : أن القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية.

ثالثًا : ان من حق السكان الفلسطينيين في القدس ممارسة جميع حقوقهم الوطنية المشروعة بوصفهم جزءًا لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني في الضفة.

رابعًا : ان القرارات الصادرة من مجلس الأمن وخاصة القرارين رقمي ٢٦٧،٢٤٢ يجب أن تطبق بشأن القدس .. وتعتبر كافة الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع المدينة لاغية وغير قائمة ويجب ابطال اثارها.

خامسًا : يجب أن تتوافر لجميع الشعوب حرية الوصول إلى القدس وممارسة الشعائر الدينية وحق زيارة الأماكن المقدسة بدون أي تمييز أو تفرقة.

سادسًا : يجوز وضع الأماكن المقدسة لكل دين من الأديان الثلاثة تحت إدارة وإشراف ممثلي هذا الدين.

سابعًا : ينبغي ألا تقسم الوظائف الضرورية في المدينة .. ويمكن إقامة مجلس بلدي مشترك يتكون من عدد متساوٍ من العرب والاسرائيليين للاشراف على تنفيذ هذه الوظائف وبهذا فإن المدينة لا تقسم.

كان هذا هو الموقف المصري الذي ظهر في مفاوضات كامب ديفيد وفي الرسائل المتبادلة بين السادات وكارتر.

ويروي السادات ما حدث خلال إحدى جلسات المباحثات الثلاثية التي جمعت بينه وبين كارتر وبيجن حيث قال السادات لبيجين أن اسرائيل لا تستطيع ان تزعم لنفسها حقًا في السيادة على هذه الأرض الفلسطينية في الضفة وفي القطاع .. كما أن مصر والأردن ليس لها أي حق في ادعاء السيادة على الضفة والقطاع وإنما السيادة على أرض الضفة وفي القطاع هي لمن يقيمون على هذه الأرض أي للشعب الفلسطيني.

وقد أعلن السادات أن الحل الشامل لم يكن مكانه في مؤتمر كامب ديفيد .. وإنما كان مؤتمر كامب ديفيد من أجل ايجاد الاطار للطريق السليم للحل الكامل الشامل .. وقال السادات أن قرارات كامب ديفيد لم تخرج عن قرارات قمة الرباط فالنص السري الأول من مقررات الرباط كان هو العمل على تحرير الأرض العربية التي احتلت عام ١٩٦٧.

وفي بيان السادات الذي ألقاه يوم ٢ أكتوبر عام ١٩٧٨ عن النتائج التي اسفر عنها مؤتمر كامب ديفيد - قال ان المفاوضات بين مصر واسرائيل سيكون هدفها وضع الخطوات التنفيذية للمبادىء الآتية:

- الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من كل شبر على أرض الوطن في سيناء.
- الاعتراف الكامل بالسيادة المصرية الكاملة حتى الحدود الدولية بين مصر وفلسطين في فترة الانتداب.
- عودة جميع المطارات العسكرية لمصر ومنها قواعد جوية ضخمة اقامها الاسرائيليون خلال سنوات الاحتلال وسوف تتحول هذه المطارات إلى مطارات مدنية تملكها مصر وهي تقع بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ وسيتم انسحاب القوات الاسرائيلية على مرحلتين .

المرحلة الأولى : في فترة تتراوح بين ثلاثة شهور وتسعة شهور من توقيع المعاهدة إلى خط يمتد من شرق العريش بطول سيناء حتى رأس محمد هذه المساحة التي يبدأ الانسحاب الأول منها بعد أقل من خمسة شهور تشكل ما يقرب من ٦٠٪ من سيناء.

المرحلة الثانية: والأخيرة للانسحاب الكامل إلى الحدود الدولية في فترة ستحدد بالضبط في المفاوضات .. ولكنها لا تزيد على فترة سنتين إلى ثلاث سنوات.

وعلى أن يحدد التاريخ في المعاهدة باليوم والساعة ومع ذلك يمكن أن يتم الانسحاب في فترة أقل من ذلك باتفاق الطرفين.

● بعـد اتمـام انسحـاب المرحلة الأولى تنشأ علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل تتضمن العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية.

* * *

ويـومهـا أكد السادات أن الأسس التي تضمنتها اتفاقيات كامب ديفيد هي نفس الأسس التي تحكم المفاوضات بين سوريا واسرائيل بالنسبة للجولان ومن هنا كانت دعوة اتفاق كامب ديفيد لدول المواجهة أن تسهم بالمشاركة في اقرار خطوات السلام.

ويومها أيضًا أكد السادات ٤ حقائق هامة وأساسية:

الأولى : أن وثائق كامب ديفيد نصت على أن تجري مفاوضات السلام تحت علم الأمم المتحدة وطبقًا لمباديء القرار ٢٤٢.

الثانية : أن مجلس الأمن سوف يصـادق على معاهدات السلام ويضمن عدم انتهاك نصوصها .. كما سيطلب من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التوقيع على هذه المعاهدات على ضمان احترام نصوصها. كما سيطلب منهم أيضًا ـ اي الأعضاء الدائمين ـ مطابقة سياساتهم وتصرفاتهم مع التعهدات التي يحتويها الاتفاق.

الثالثة : ان الولايات المتحدة سوف تشترك في كل مفاوضات مقبلة وكل هذا منصوص عليه في اتفاق اطار السلام.

الرابعة : انه لا توجد اتفاقيات سرية في كامب ديفيد أو بعد كامب ديفيد ولن توجد أو تكون. وفي هذه النقطة بالذات أكد السادات ان مصر تعمل في وضح النهار وأنها لا تقدم ما تخجل من إعلانه لكي تخفيه.

وقال لن تكون لنا ديمقراطية حقيقية تحكم الشعب بإرادة الشعب إذا لم يكن شعبنا على علم كامل بكل قضايا مصيره ومصير أمته العربية.

التراجع عن كامب ديفيد !!

في الاجتماع الاسبوعي لمجلس الورزاء الاسرائيلي يوم ١٠ نوفمبر ١٩٩١ سئل اسحق شامير رئيس الوزراء عن معنى الحكم الذاتي للفلسطينيين فكانت اجابته أن كل شيء ورد واضحًا في اتفاقيات كامب ديفيد لكن شامير ـ كعادة كل الاسرائيليين ـ يقول اليوم ما يمكن أن ينفيه في الغد فقد عاد ليناور متراجعًا عن كلامه السابق بعد مرور أسبوع واحد فقط .

وكل ما يقوله الاسرائيليون الآن .. وما قالوه طوال الأيام الماضية هو في الواقع تراجع عن كامب ديفيد.

ان صحفهم والمتحدثين الرسميين وغير الرسميين يحاولون الآن أن يقولوا لنا عكس ما نعرف .. ويجتهدون في تفسير النصوص الواضحة بأسلوب خاطىء..

انهم يقولون أن كامب ديفيد لم تتضمن إقامة دولة فلسطينية .. ولم تتحدث عن القرار ٢٤٢ مع أن هذا واضح تمامًا في الاتفاقية التي افضت في الحديث عنها على مدى الأسابيع الماضية .. والاغرب من ذلك أن صحفهم تحرّف أيضًا الكلمة الشهيرة التي أطلقها الرئيس الأمريكي جورج بوش حين بدأ الحهيث عن مؤتمر السلام وهي مبدأ الأرض مقابل السلام «هذه الصحف المغرضة تتحدث وهي تقول أن بوش كان يقول مناطق مقابل السلام .. والمسألة لا تحتاج إلى الرد على اخطائهم فوثائق كامب ديفيد واضحة وفي متناول اليد.

وها هي فقرات مختارة من وثائق كامب ديفيد الجزء الخاص باطار السلام في الشرق الأوسط.

«ان القاعدة المتفق عليها للتسوية السلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها هي قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه .. ويرفق القراران رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ بهذه الوثيقة.

ان تحقيق سلام وفقًا لروح المادة ٢ من ميثاق الأمم المتحدة واجراء مفاوضات في المستقبل بين اسرائيل وأي دولة مجاورة مستعدة للتفاوض بشأن السلام والأمن معها هي أمر ضروري لتنفيذ جميع البنود والمبادىء في قراري مجلس الأمن رقمي ٢٤٢ و ٣٣٨.

تتفق مصر واسرائيل على أنه من أجل حماية نقل منظم وسلمى للسلطة مع الأخذ في الاعتبار الاهتمام بالأمن من جانب كل الأطراف يجب أن تكون هناك ترتيبات انتقالية بالنسبة للضفة الغربية وغزة لفترة لا تتجاوز خمس سنوات ولتوفير حكم ذاتي كامل لسكان الضفة الغربية.

فإن الحكومة الاسرائيلية العسكرية وإدارتها المدنية ستنسحبان بمجرد أن يتم انتخاب سلطة حكم ذاتي من قبل السكان في هذه المنطقة عن طريق الانتخاب الحر لتحل محل الحكومة العسكرية الحالية.

ولمناقشة الترتيبات الانتقالية فإن حكومة الأردن ستكون مدعوة للانضمام للمباحثات على أساس هذا الاطار ويجب أن تعطى هذه الترتيبات الجديدة الاعتبار اللازم لكل من مبدأ حكم الذات لسكان هذه الأرض واهتمامات الأمن الشرعية لكل من الأطراف التي يشملها النزاع .. ستبدأ الفترة الانتقالية ذات السنوات الخمس عندما تقوم سلطة حكم

ذاتي . ومجلس إداري في الضفة الغربية وغزة في اسرع وقت ممكن دون أن تتأخر عن العام الثالث بعد بداية الفترة الانتقالية .. وستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة وعلاقاتها مع جيرانها ولابرام معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الانتقالية وستدور هذه المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن والممثلين المنتمين لسكان الضفة الغربية وغزة.

وسيجرى انعقاد لجنتين منفصلتين ولكنهما مترابطتان في إحدى هاتين اللجنتين تتكون من ممثلي الأطراف الأربعة التي ستتفاوض وتوافق على الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة وعلاقاتها مع جيرانها .. وتتكون اللجنة الثانية من ممثلي اسرائيل وممثلي الأردن والتي سيشترك معهما ممثلو السكان في الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والأردن واضعة في تقديرها الاتفاق الذي تم التوصل إليه بشأن الضفة الغربية وغزة.

وستركز المفاوضات على أساس جميع النصوص والمبادىء لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢. وستقرر هذه المفاوضات ضمن أشياء أخرى موضع الحدود وطبيعة ترتيبات الأمن. ويجب أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومتطلباتهم العادية .. وبهذا الأسلوب سيشارك الفلسطينيون في تقرير مستقبلهم من خلال أن يتم الاتفاق في المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن وممثلي السكان في الضفة الغربية وغزة على الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة والمسائل البارزة الأخرى بحلول نهاية الفترة الانتقالية .. وان يعرضوا اتفاقهم للتصويت من جانب الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة.

خلال الفترة الانتقالية يشكل ممثلو مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتي لجنة تعقد جلساتها باستمرار وتقرر صلاحيات السماح بعودة الافراد الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة في عام ١٩٦٧ مع اتخاذ الاجراءات الضرورية لمنع الاضطراب وأوجه التمزق ويجوز أيضًا لهذه اللجنة ان تعالج الأمور الأخرى ذات الاهتمام المشترك.

ستعمل مصر واسرائيل مع بعضهما ومع الأطراف الأخرى المهتمة بوضع اجراءات متفق عليها للتنفيذ العاجل والدائم لحل مشكلة اللاجئين.

كل هذه البنـود التي تتحـدث عن الحكم الذاتي لفترة انتقالية وانسحاب الحكم الاسرائيلي وحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم وعودة المطرودين وحل مشكلة اللاجئين وضمان حدود آمنة لجميع الأطراف .. الآن تتراجع اسرائيل عنها وتقول كلامًا سخيفًا .. وتظهر غباء واضحًا في فهم نصوص كامب ديفيد وتتعمد طمس الحقائق وتروج للاباطيل.

كتب يوسف حاريف وهو صحفي اسرائيلي معروف في صحيفة معاريف الاسرائيلية مقالاً غريبًا يمتلىء بالمغالطات ويؤكد ان كامب ديفيد لم تتحدث عن دولة فلسطينية ولم تذكر حق تقرير المصير للفلسطينيين ويبدو أنه لا يقرأ التاريخ أو يحاول الظهور بمظهر من لا يعرف الحقيقة مع أنها واضحة تمامًا في تلك الاتفاقية المفترى عليها.

شطحات العقاد

اقحم المخرج السينمائي مصطفى العقاد، نفسه في قضية سياسية كشف فيها عن أنه ما زال اسير الشعارات الجوفاء .. وأنه لا يعيش في الواقع وأنه سينمائي يتاجر بالشعارات أكثر مما يعتمد على تقديم الفن الجاد.

ولا أحد يستطيع أن ينكر قدراته كمخرج سينمائي قدم لنا فيلمًا جميلاً مثل عمر المختار .. لكن أن يتم استغلال ذلك للهجوم على فترة سياسية في تاريخ مصر بالباطل .. فهذا ما لا يقبله أي إنسان عربي مهما اختلفت قناعاته.

قال العقاد .. في أحد المؤتمرات الصحفية الفنية التي عقدت في إطار مؤتمر القاهرة السينمائي الدولي في ديسمبر ١٩٩١ .. أنه شعر بالذل عندما نزل الرئيس المصري أنور

السادات من طائرته في اسرائيل عام ١٩٧٧ وكان شعوره هذا هو السبب في إخراج وإنتاج فيلمه «عمر المختار» وقال انه اختار عمر المختار لأنه كان أحد الزعماء العرب الذين رفضوا التنازل والخضوع أو حتى النفي خارج بلادهم.

ويكفي أن نسأل مصطفى العقاد. وهل تنازل السادات وخضع .. ولا يحتاج الأمر لأن نذكر أن السادات هو الذي حقق أول انتصار للعرب على اسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣ وأنه اخضع الاسرائيليين لقبول السلام بهذا الانتصار الرائع ولا أعرف كيف شعر مصطفى العقاد بالذل وهو يشاهد السادات ينزل في اسرائيل مع أن السادات ذهب منتصرًا وكان في أوج مجده .. ولا استطيع ان انبش الجراح .. وأسأله .. عما يحدث الآن ..

والعقاد الذي يحمل الجنسية الأمريكية وهو سوري الأصل قال اسخف كلام يمكن أن نسمعه حين زعم في نفس المؤتمر ونقلته وكالات الأنباء قال أن كل معارك العرب مع اسرائيل كانت «مهزلة» وان العرب خسروا في حرب اكتوبر ١٩٧٣ لأنها كانت مجرد خطة تكتيكية لجرهم إلى طاولة المفاوضات.

وقال مصطفى العقاد كلمات أخرى أقل وصف يمكن أن نصفها به هو أنها تصدر عن تاجر فاشل كنا نحسبه فنانًا عربيًا كبيرًا .. قال مثلًا ان حرب ٧٣ كانت من تخطيط وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر الذي منح العرب نصرًا ليدخلوا عملية السلام وهو كلام ساذج لا يقوله طفل لا يفهم شيئًا في السياسة.

وإذا كان مصطفى العقاد الذي يعيش في الولايات المتحدة قد نسى تاريخه وجذوره العربية وراح يهاجم أعظم الانجازات العربية في عصرنا الحديث .. فإن قدرنا أن نرفض هذا الكلام ونتسامح لأنه في الأساس صدر عن عربي مثلنا شطح عقله أو أراد أن يتاجر بقضايانا من أجل أن يعيش .

السلام مع إسرائيل ارتبط أيضاً بعبد الناصر

من الآراء التي علقت على سلسلة المقالات التي كتبتها عن الطريق الصعب نحو السلام في الشرق الأوسط تحت عنوان حين يعيد التاريخ نفسه بشخصيات مختلفة.

تلك الآراء التي اختلف بعضها معي في الرؤية .. والتي اتفق بعضها معي ..

يبقى رأي واحد يحتاج إلى تصحيح نشرته الراية بعنوان ماذا جنينا من معاهدة السلام بقلم علي الهاجري (نص الراية منشور في نهاية هذا المقال)

وقبل أن اناقش ما قاله الهاجري أود أن أؤكد له أولا أنني حين تحدثت عن كامب ديفيد لم يكن هدفي مجرد الدفاع عن الرئيس المصري الراحل أنور السادات لأنه زعيم لا يحتاج لدفاع من قلم شاب مثلي .. فالتاريخ هو أكبر وأفضل منصف له.

وثانيًا : فأنا ليس من قناعاتي أبدًا أن أدعو لنسيان الماضي والتعامل مع اسرائيل بشكل عادي جدًا .. بل ان أكبر امنياتي ان نقضي على اسرائيل فقد عشت آلام النكسة عام ١٩٦٧ وفقدت فيها كثيرًا من أحبائي .. ولا يحتاج الأمر إلى أن أقول لك كيف دمعت عيناي وارتجفت وأنا اسمع قرار جمال عبد الناصر بالتنحي ..

كما ان المجال لا يتسع لأروي لك كيف كانت فرحتنا ونحن نسمع أخبار الانتصارات العظيمة ابتداء من ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .. فقد كانت حصيلة جهود مضنية بذلها قادة مصر منذ ما بعد النكسة ووفاة جمال عبد الناصر وتولي أنور السادات مقاليد الحكم في مصر واستكمال بناء الجيش ووضع خطة العبور ثم ما تبع ذلك من جهود سياسية انتهت باسترجاع كل شبر من الأرض المصرية.

وأنا يا صديقي حين تحدثت عن السلام والبحث عن أسلوب للتعايش مع الاسرائيليين لم أكن ادعو إلى نسيان كل شيء .. ولكني كنت أحاول أن اتعايش مع منطق العصر .. فالذي يقرأ التاريخ يعرف أنه ليس أمام العرب حاليًا غير هذا الحل .. ان يتعايشوا مع الإسرائيليين .. لسبب بسيط وهو أن الحل الآخر .. وهو القضاء على الاسرائيليين .. لا يمكنهم تنفيذه الآن .. فنحن لسنا قوة واحدة تستطيع فرض أفكارها على العالم .. بل نحن شعوب وأفكار متناثرة .. ومتعارضة .. وهناك قوة أخرى تفرض كل ما تريد على العالم ونحن كشعوب عربية نسلم بهذا.

هل هناك قوة عربية تستطيع أن تواجه الولايات المتحدة الأمريكية ؟!
ان الولايات المتحدة تريد أن تبقى اسرائيل فهي تحميها بجميع الوسائل.
هل تستطيع أن تقول لي .. كيف يمكن للعرب أن يقضوا على إسرائيل ؟

ولا يحتاج السؤال لاجابة لأن التاريخ يقول أننا قضينا سنوات طويلة من عمرنا نرفع شعارات ونداءات تطالب بالقاء اسرائيل في البحر .. وبأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغيرها .. وكنا متحمسين جدًا لهذه الشعارات لأن ذلك العصر الذي قيلت فيه هذه الشعارات .. كان عصر المد الثوري الذي تزعمه جمال عبد الناصر وكنا رهن اشارته من المحيط إلى الخليج ..

كانت قناعتنا في ذلك الوقت اننا اقوى من اسرائيل واننا سوف نهزمها وسوف نعيد للفلسطينيين حقوقهم ولكننا استيقظنا فجأة من حلمنا الجميل على نكسة مؤلمة دفع الشعب المصري النصيب الاكبر منها .. من خلال الشهداء والتدمير والخراب الذي حطم الافكار اكثر مما حطم من مبان ومنشآت.

وكان لا بد لمصر ان تتغير .. فالنكسات الضخمة هي التي تصنع الأمم العظيمة وهكذا انتقلنا من اليسار إلى اليمين .. ومن افكار إلى افكار اخرى لأن الأفكار التي فشلت يجب ان تتغير وهكذا نجح انور السادات.

واعود لمقالة علي الهاجري لابحث فيها عن معلومة صحيحة والحقيقة انني أجدها كلها لا اساس لها من الصحة فمثلًا يقول ان السادات ذهب إلى اسرائيل بضغوط امريكية .. وان الإدارة الأمريكية حولت انتصار اكتوبر إلى (لعبة قذرة) هذا التعبير من عنده هو يقصد به ما يسمى (السلام العادل) .. ويقول ان هنري كيسنجر لعب فيه دورًا كبيرًا وفي مقاله تساؤلات ساذجة مثل لماذا لم تأت اسرائيل إلى السادات ما دامت هي المهزومة ولماذا ذهب السادات إلى اسرائيل وهو المنتصر واتصور ان كل هذه الكلمات والتساؤلات عفى عليها الزمن فلا السلام لعبة قذرة .. ولا الولايات المتحدة ضغطت على السادات .. لأن الدخول في حرب وبدء مشوار السلام كان قرارًا خاصًا بالسادات ولا جدال في ذلك.

ثم ان السادات نفسه قال انه خلال الأيام الأولى للحرب انتصر على اسرائيل لكن الولايات المتحدة دخلت بثقلها العسكري إلى جانب اسرائيل وهو يعرف حجم قواته وامكانياته العسكرية وهو لا يستطيع ان يحارب أمريكا .. ولهذا كان عليه ان يتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب وإلا تحول النصر إلى هزيمة ولهذا دعا إلى السلام وهو في أوج انتصاره .

والسؤال الآن .. هل كان يمكن لاسرائيل أو الولايات المتحدة وبقية دول العالم ان تستجيب لنداء السلام لو أنه لم يحقق هذا الانتصار؟!

بالطبع لا .. لأنه دعا إلى السلام قبل هذه الحرب مرات عديدة ولم يستمع إليه أحد في العالم لأنه كان يعاني من نكسة ١٩٦٧ بأسلوبه رغم ما قد يكون لنا من تحفظات على بعض سياساته الداخلية نجح في أن يعيد للعرب امجادها .. وحقق أول انتصار على اسرائيل ..

ولا بد أن نتعامل مع أنور السادات ـ وهو الآن بأفكاره في صفحات التاريخ ـ لا بد أن نتعامل معه في اطار ظروفه التاريخية .

وهنا أريد أن انبه إلى أنه لا يصح إن يقال ان ما فعله عبد الناصر كان أفضل من السادات أو العكس لأن عبد الناصر كان عظيمًا في اطار ظروفه التاريخية.

والمشكلة اننا نتعامل مع ما فعله السادات بالظروف التاريخية التي كان فيها عبد الناصر .. وهذا خطأ كبير لأن عهد المد الثوري والاشتراكية انتهى مع النكسة ليبدأ عهد جديد .. رأى أنور السادات أنه عهد السلام والتعايش والانفتاح ..

انه الظرف التاريخي الذي يدركه الزعيم ..

وهكذا ادرك عبد الناصر بحسه التاريخي ما كان يجب أن يفعله .. تمامًا كما فعل السادات فيما بعد.

لهذا من الخطأ أن نقول ان السادات اخطأ لأن السادات ـ في رأيي الشخصي ـ لو لم يفعل ما فعل .. لكان صورة هزيلة لزعيم تاريخي انتهى دوره .. ولو فعل السادات ذلك لما تغير وجه المجتمع المصري .. ولظل حتى الآن يعيش خارج الزمن .. وفي مرحلة تاريخية منتهية.

وبهذا المنطق .. فإنني أرى أن ما يحدث الآن في واشنطن بعد مفاوضات مدريد وموسكو هو نتيجة طبيعية لظروف تاريخية نعيشها.

فالعرب الذين رفضوا الانضمام إلى السادات حين كان يعقد معاهدة السلام مع اسرائيل .. كانوا يعيشون في ظروف تختلف عن الظروف الحالية.

الآن .. أدركوا أنه لا حل أمامهم غير هذا الطريق.

ولا يجب ان نلوم أحدًا .. لأن كل قائد يتخذ قراره بناء على ظروف تاريخية واجتماعية وثقافية .. والآن كل هذه الظروف تصب في اطار بدأه السادات قبل سنوات عديدة.

ودعنا نكن أكثر صراحة ونقول أن عبد الناصر نفسه دعا أكثر من مرة إلى السلام ولم يستمع إليه أحد لنفس السبب السابق .. لأنه يعاني من النكسة.

وهذا الكلام ليس من عندي .. لقد قاله أحد الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة يوليوم ١٩٥٢ وهو أحمد حمروش رئيس اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الأفريقية والأسيوية.

يقول أحمد حمروش أنه مع حرب الاستنزاف بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٠ كان الاسرائيليون يعانون من متاعب يومية وخسائر في الأرواح كانت تنعكس على مجتمعهم بالتوتر .. ومن هنا نشأت فكرة داخل اسرائيل للاتصال بمصر وبالرئيس الراحل جمال عبد الناصر من أجل معرفة ان كانت هناك أفكار مشتركة من أجل السلام أم لا .

ويضيف أحمد حمروش كنت آنذاك في باريس، والتقيت ببعض الأصدقاء من المصريين اليهود المقيمين هناك، وعندما طرحوا الفكرة عرضتها على الرئيس عبد الناصر. ووافق عليها وبدأت عملية الاتصال بالعناصر الاسرائيلية المناصرة للسلام والحق العربي والداعية إلى سلام شامل وعادل وليس سلامًا مصريًا ـ اسرائيليًا ، والتقيت خلال ذلك بالصديق الأيريك رولو سفير فرنسا الحالي في تركيا وقال لي ان ناحوم جولدمان (رئيس الوكالة اليهودية) يريد مقابلتي.

ورغبة مني في مواصلة الحوار قابلت جولدمان دون إذن مسبق وأبلغني ان عنده دعوة من الرئيس عبد الناصر لزيارة مصر، حملها إليه الرئيس تيتو وطلب مني أن تتم هذه الزيارة وفي يوم سفري من باريس وفي طريقي إلى المطار وجدت أن الصحف الفرنسية قد نشرت ان ناحوم جولدمان كان في اسرائيل والتقى بجولدا مائير رئيسة الوزراء وأنه طلب منها أن توافق على سفره إلى مصر لأنه قد تلقى دعوة من الرئيس عبد الناصر لزيارتها وأن الذي حملها إليه أحد الضباط الأحرار وكان يقصدني أنا بذلك ـ رغم أنني لم أكن قد عدت بعد إلى القاهرة وبمجرد وصولي كتبت مذكرة بكل ما حدث وقد نشرت جريدة «الأهرام» حكاية جولدمان وان مظاهرات في اسرائيل تؤيد زيارته إلى القاهرة. وفي اليوم التالي وجدت أن الرئيس جمال عبد الناصر قد أشر على المذكرة التي رفعتها إليه بأن اسافر إلى باريس واعقد صداقة شخصية مع جولدمان وهذ يؤكد ان جمال عبد الناصر كان يطلب السلام الشامل العادل، عن طريق حرب الاستنزاف التي لم تتوقف طوال ثلاث سنوات وشهرين وهذه لم تكن الاتصالات الأولى بين مصر واسرائيل فقد كانت هناك محاولات قام بها ثروت عكاشة ويوسف حلمي قبل عدوان ١٩٥٦ في باريس أيضًا ونذكر أن موسى شاريت رئيس الوزراء عام ٥٤ ـ ٥٥ وافق لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي ـ بقبول عودة مائة ألف عربي إلى اسرائيل.

ان مثل هذه الاتصالات كان من الممكن ان تؤدي إلى السلام لو كانت انتهت إلى بعض الاتفاقيات والغريب ان هناك من يصور ان السلام مقترن فقط بالرئيس انور السادات وهذا خطأ لأن السلام مرتبط كذلك بعبد الناصر ومن قبله والذي حدث أن الرئيس عبد الناصر لم يعلن عن هذه الاتصالات.

وجاء في المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي وأعلن عنها في معرض تدليله على أن الحكومة الاسرائيلية ترفض السلام.

عندما قال رحمه الله «طيب ما احنا ارسلنا أحمد حمروش للقاء جولدمان ومافيش حاجة اتعملت» أشار إليها كدليل ادانة للاسرائيليين انتهى كلام حمروش.

ورأيي الشخصي أن عصر عبد الناصر وظروفه التاريخية لم يكن يسمح بنجاح أفكار سلمية كالتي جاء بها السادات في عصره .. ولهذا عاش عبد الناصر عصره الثوري .. وحقق زعامته التاريخية من واقعه .. تمامًا كما فعل السادات.

ولو لوم لهذا أو ذاك .. فكل واحد أدى دوره كما تصور أنه الأفضل.

ويبقى ان المحصلة النهائية كانت في مصلحة الشعب المصري .. ومصر لأنها وهو ما لا يعرفه علي الهاجري استعادت كل أراضيها بكرامتها .. وحققت مكانة متميزة في عالم اليوم فمصر أم الدنيا .. وقلب العروبة النابض .. فرغم مشكلاتها الاقتصادية الصعبة لم تتأخر عن أن تقوم بدورها في حل أزمة الكويت وهي تحاول الآن حل أزمة ليبيا ..

انها مصر - يا علي - التي تقول ان السلام عزلها عن محيطها العربي.
لقد عزلها لفترة ولكن الرجوع للحق فضيلة .
ومصر هي كما هي .
تتطور إلى الأحسن .
وتظل حقيقتها أمام كل العيون .
أم الدنيا وقلب العروبة النابض .

أما مقال علي الهاجري فهذا نصه كما نشرته الراية في صفحة المنبر الحر وكان عنوانه «ماذا جنينا من معاهدة السلام؟»

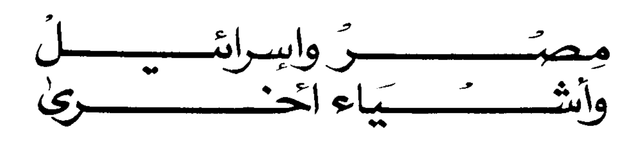
لا أحد ينكر مقدرة وكفاءة الجندي العربي المصري وبسالته وشجاعته ولا أحد ينكر دور مصر العربية القيادي والريادي في الوطن العربي ولا أحد أيضًا يمكن أن ينكر نصرتها ومؤازرتها ودفاعها عن شقيقاتها الدول العربية إضافة إلى أنها منبع الثورات التحررية في العالم العربي وهي أيضًا ذلك الرافد الثقافي الذي يغذي أفكار وعقول شعوب الأمة العربية ، ومصر عندي ليست الحكومة فالحكومة حالها حال الحكومات العربية الأخرى قد نختلف ونتفق معها ولكني أعني مصر بالشارع المصري بجميع فئاته وطبقاته. وما دفعني للكتابة هنا هو ما خطه قلم الكاتب محمد الشرقاوي بجريدة الراية في عددها الصادر بتاريخ ٩١/١٢/١٥ وهجومه العنيف على المخرج السينمائي مصطفى العقاد. وأنا هنا لست بصدد الدفاع عن مصطفى العقاد ولا اتكلم عن انجازاته الفنية ولكن هناك نقطة أردت ان اتطرق إليها وهي حرب اكتوبر، فالعالم العربي بأجمعه يعرف أن هذه الحرب اعدت وخطط لها منذ رئاسة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ مباشرة، فعبد الناصر هو الذي تولى الاشراف عليها مباشرة وأعد الجيش المصري جيدًا وزوده بأحدث الأسلحة استعدادًا لهذه المعركة ولكن اختطفته يد المنون قبل أن يحقق ما كان يصبو إليه.

وبالنسبة لحرب ١٩٧٣ فإذا أخذنا جانبها العسكري فالحق يقال أن الجيشين العربيين (المصري والسوري) حققا انتصارًا كبيرًا واظهر الجندي العربي بأنه يستطيع العطاء بلا حدود متى ما اعطى الفرصة. ولكن من الناحية السياسية فبلا شك ان الادارة الأمريكية لعبت دورًا في تسيير هذا الانتصار إلى لعبة قذرة وهي ما يسمى بالسلام العادل مع اسرائيل ولعب وزير خارجية أمريكا آنذاك هنري كيسنجر دورًا كبيرًا في ذلك. أما أن السادات ذهب لاسرائيل طلبًا للسلام وهو منتصر فانني اسأل الشرقاوي لماذا لم تأت اسرائيل إلى مصر طلبًا للسلام وهي مهزومة؟ فلقد تعودنا على أن الضعيف هو الذي يبحث عن السلام ويقدم كل ما في وسعه للحصول عليه، أما القوي فهو الذي يملي شروطه ورغباته لأنه هو المسيطر وهو القادر على عمل كل شيء. ولكن السادات ذهب للسلام الذي يتماشى ورغبات وشروط اسرائيل بضغط من أمريكا. وحدثت معاهدة كامب ديفيد التي استطاعت اسرائيل بمقتضاها عزل أكبر دولة عربية عن عالمها العربي وتحجيم دورها الطليعي والطبيعي إلى الأبد مقابل استرداد ارض مصرية وكأن هذه

الأرض ليست ملكًا لمصر وبشرط أيضًا الا تتواجد عليها قوات عسكرية مصرية. مثل هذه الأرض استردادها يكلف مصر زعامتها ومكانتها الشرعية. فأين السلام بالشرقاوي الذي من المفروض ان يعتز به كل عربي.

مصر زعامة وشعب عريق وحضارات، واسرائيل عدو صهيوني وارهابي ولن تستطيع أي حكومة كانت ان تجمع بين هذين الشعبين وتجعلهما في حالة وفاق وسلم دائمين.

والسلام مع اسرائيل لم نجد من ورائه سوى عزلة مصر وقوتها الضاربة من محيطها العربي وتغيير تلك القوة من وجهتها الصحيحة والمشروعة وكذلك لم نجن من تلك المعاهدة مع اسرائيل سوى التفككات والكوارث العربية التي يشهدها الآن عالمنا العربي وكذلك الوضع السيىء الذي يعيشه أهلنا في فلسطين. وهذه الأشياء آلت الينا من معاهدة السلام.



مصر هي أم الدنيا .. واسرائيل هي عدو العرب .. وأما الأشياء الأخرى فهي موضوع هذا المقال.

وبداية أريد أن اذكر ان فكرة هذا المقال لم تكن واردة بذهني لولا تلك الخطابات والمكالمات التليفونية التي تلقيتها على مدى الاسبوع الماضي ومعظمها كانت غاضبة وبعضها كان شديد الغضب.

بدأها شاب أكد لي أنه لا يعرف علي الهاجري .. وأول مرة قرأ فيها اسمه كانت في مقالي .. وقال انه يحدثني من منطلق البحث عن الحق وأضاف انني هاجمت علي الهاجري بعنف مع أن الحق معه !!! (وعلامات التعجب هذه من عندي أنا).

وبعده توالت المكالمات وبعضها كانت متهورة .. وخالية من الذوق .

استنكر قارىء آخر .. ان أصف مصر بأنها أم الدنيا.

وقال آخر أن اسرائيل ملعونة .. وما كان يجب أن تقيم مصر معها معاهدة سلام.

أما أحدهم فعمم المسألة وقال انتم (يالمصريين) تريدون ان تقنعونا بأشياء أخرى غير التي نعرفها.

وهذه الأشياء الأخرى كانت محور ردود الفعل التي واجهتها طوال الأيام الماضية وكأنها سهام تريد القضاء على تاريخ طويل يعتز به كل عاقل ويتهرب منه كل ناكر للجميل.

واتصور أن كل الذين تحدثوا معي تليفونيًا حول مقال (السلام مع اسرائيل ارتبط أيضًا بعبد الناصر) فوجئوا بأنني اتلقى كلماتهم (أو طعناتهم) برحابة صدر .. وسعة أفق لأنني كنت انتظر أن أعرف منهم شيئًا له قيمة .. وقد خاب ظني فيهم .. وها قد جاء وقت الحساب .

* * *

هذه كلمات علي الهاجري نفسه التي تجاهلها كثيرون ممن هاجموني طوال الاسبوع قال «لا أحد ينكر مقدرة وكفاءة الجندي العربي المصري وبسالته وشجاعته .. ولا أحد ينكر دور مصر العربية القيادي والريادي في الوطن العربي .. ولا أحد أيضًا يمكن أن ينكر نصرتها ومؤازرتها ودفاعها عن شقيقاتها الدول العربية.

إضافة إلى أنها منبع الثورات التحررية في العالم العربي وهي أيضًا ذلك الرافد الثقافي الذي يغذي أفكار وعقول شعوب الأمة العربية.

هذه الكلمات الجيدة تستحق الشكر، أما بقية مقاله الملىء بالاخطاء فقد رددت عليها في الاسبوع الماضي .. واليوم أراني مضطرًا للرد على أخطاء كثيرة في عقول من حدثوني.

سألني أحدهم ساخرًا: ما معنى مصر أم الدنيا .. هل كانت ترضعهم ؟!

وأقول له: نعم كانت ترضع الدنيا كلها لبنها يوم هاجروا إليها طلبًا لاسباب الحياة هربًا من الصحراء القاحلة وبحثًا عن الأمن والأمان منذ فجر التاريخ.

* * *

وقال آخر أن أم الدنيا تعبير يمكن أن اطلقه على أية دولة؟

وأقول له: وهل هناك دولة بدأت فيها الحضارة منذ حوالي ٥ آلاف عام مثل مصر .. انها أطول الأمم تاريخًا فقد عاشت خمسة آلاف سنة استقلت فيها ٣٥٠٠ سنة أي ما يعادل سبعين في المائة من تاريخها .. أليست هذه حقيقة مذهلة .

وقال آخر : ان مصر هي الدولة الوحيدة التي يتغير اسمها في اللغة الإنجليزية مثلًا حيث يكون اسمها (ايجبت) وبينما اسماء الدول الأخرى هو نفسه في جميع اللغات.

فقلت له : هذه هي قصة الاسم كما جاءت في كتب التاريخ القديم والحديث.

مصر في الزمن القديم كان يطلق عليها عدة اسماء تعرف بها ولم يتبق من تلك الأسماء في العصر الحديث غير اسمين اثنين أحدهما ايجبت Egypt والثاني هو «مصر»

فأما الأول كما يقول عباس العقاد (ايجبت) فقد تلقاه الغربيون عن اليونان وما زال لديهم حتى الآن علما على البلاد المصرية واصل هذه الكلمة منحوتة من كلمتين بمعنى (جي بتاه) أو (كي بتاه) اي بلاد فتاح الاله الذي كان معبودًا في «منف» العاصمة القديمة التي عرفها اليونان الاسبقون وكلمة «قبطي» مشتقة من النسبة إلى (كي بتاه) كما يرى بعض المؤرخين الذي يرون آيضًا انها بلدة كانت على البحر الأحمر ثم أصبحت هي الطريق كله بين البحر الأحمر والبلدة التي اشتهرت باسم (قفط) في اقليم قنا .. ولا تزال معروفة به إلى اليوم وما زال طريق (القصير) وقنا من الطرق الممهدة للقوافل في العصر الحاضر .. ويقال انها أصل التسمية القديمة للبلاد المصرية لأن عواصم مصر الكبرى كانت في الإقليم القنائي وظلت فيه قرونًا طويلة من العصر القديم.

ويتوسع بعض المؤرخين في دلالة هذه التسمية فيردون إليها علاقة مصر العليا بالبلاد القديمة .. ويحسبون ان المهاجرين الأوائل قدموا عن طريق البحر الأحمر ثم طريق الصحراء وعاشوا مع أهلها يلتمسون فيها أسباب الحياة.

* * *

أما الاسم الثاني لمصر فهواسمها المشهور في اللغة العربية وهو «مصر» ومصر عربية الأصل حيث كانت متداولة على الألسنة من صدر الإسلام وما قبله فقد عرف العرب مصر ثم عرفها منهم العبرانيون المنتقلون من أرض العراق. ويتفق المؤرخون على أن العبرانيين قدموا إلى مصر في عهد القبائل العربية من الرعاة واتباعهم المشهورين باسم الهكسوس فهم أول من اطلق على «مصر» اسم «مصرايم».

ومصرايم هي تثنية مصر باللغة العبرية بمعنى المِصرَين اي الوجه البحري والوجه القبلي.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن كلمة «مصر» هيروغليفية قديمة مركبة من ثلاث كلمات بمعنى «بلد ابناء الشمس» أو «ماسيرى» والكلمات الثلاث هي «ما» بمعنى موضع.

و «سي» بمعنى ابن ..

و «ري» أو «را» بمعنى الشمس ..

ومنها «راع» الذي ينسب إليه بعض الفراعنة .

والكلمة «ماسيري» كانت تطلق على شهر الفيضان أو شهر النيل المنتظر وبعض المؤرخين يربطون بين اسم الشهر واسم البلد.

وكان الكتاب المصريون المخضرمون بين عصر اللغة الهيروغليفية وعصر اللغة القبطية يذكرون مصر كما يذكرها اليونان باسم وسط بين جبت وقبت أو قبط.

وكانوا يطلقون كلمة قبط على البلاد أحيانًا ولا يقصدون بها السكان حيث كانوا يذكرون المصريين باسم (القبطيين) وتكررت هذه النسبة بعد الفتح الإسلامي بزمن قصير .. ولم يلجأوا إلى التفرقة بين النسبة إلى (مصر) والنسبة إلى (قبط) إلا لتوضيح الفرق بين المصريين بعد الإسلام والمصريين قبل الإسلام.

* * *

وكان المؤرخون المسلمون يذكرون «المصريين» إلى عهد «معاوية» ويقصدون بهم العرب المسلمين المقيمين في الديار المصرية ولهذا كانوا يقولون ان المصريين ايدوا عليًا في خلافه مع معاوية وأنهم لم يبايعوا معاوية إلا بعد ولاية عمرو بن العاص الثانية.

ويقول عباس العقاد ان من المحقق بعد جميع التأويلات والاحتمالات ان اسم «مصر» كان معروفًا في أرض كنعان قبل وفود العبرانيين .. وأن اليونان عرفوا مصر باسم (إيجبت) قبل عصر الشاعر هوميروس، وان الواح تل العمارنة ذكرت اسم مصر باسم «هكبتاه» الذي يرجع إليه الاسم اليوناني وارادت به ارض منف وعاصمته بتاه أو فتاح .. وان (مصر) لم تطلق على قُطر غير وادي النيل.

وقد احصى ديودورس الصقلي ويوسفيوس اليهودي سكان مصر فلم يتجاوز عددهم ٨ ملايين نسمة.

وديودورس مؤرخ القرن الأول قبل الميلاد ويوسفيوس شهد بداية عصر الميلاد وكلاهما فرق في التعداد بين المصريين واليهود والروم.

* * *

وعرفت مصر التقسيمات الإدارية من أيام الأسر الأولى. وكان لديها ٤٠ قسمًا إداريًا وهو ما نسميه الآن بالمديرية أو المحافظة ويقال انها كانت في مبدأ الأمر مواطن للعشائر

او القبائل المختلفة التي تسكن الوادي وما يقابله من جانبي الصحراء .. وكانت كل عشيرة منها مستقلة برئيسها وقيادتها المحلية .. قبل اتحاد البلاد جميعًا في عباءة قومية عامة.

وكما تقول د. نعمات احمد فؤاد ان مصر عبدت ووحدت وقامت بالضمير فرشدت مسـيرتها واستقامت سيرتها حين عرفت الثواب والعقاب ونصب الميزان وقالت بعودة الروح والحياة الاخرى .. وتجيىء بعد هذا الأديان السماوية فتكون مصر القاعدة العريضة لها والبيئة الحضارية وتزكو الأديان فيها وبها مسيحية وإسلام كما لم يفعل بلد آخر في الدنيا .. وتخوض في الإسلام معارك الحرب والإسلام فتجمع مصر الحديث وتجود القرآن وتهديه الأزهر ومتحف الفن الإسلامي بعاصمتها القاهرة.

ان نصف تراث الإسلام في مصر وحدها والنصف الآخر موزع على العالم شرقًا وغربًا .. حتى قاموس العربية الأكبر «لسان العرب» وضعه ابن منظور المصري.

* * *

أما قبل الإسلام فتاريخ طويل يرويه د. السيد نصر الدين الباحث بجامعة ولاية متشيجـان الأمريكية ورئيس قسم نظم المعلومات بالأكاديمية العربية للنقل البحري فيقول ان عصر الاستقلال الأول في مصر استمر حوالي ١٥٠٠ سنة وكان ذلك في عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد وحكم فيها مصر حوالي ٣٠٠ فرعون كان كل واحد فيهم يتباهى قائلاً «قد عملت على ان تظل مصر فوق رؤوس الدنيا كلها».

٣٠٠ فرعون ضمتهم ١٤ أسرة ملكية .. هكذا قال أول المؤرخين (مانيتون) المصري كاهن معبد سمنود (سب نتر) والكاهن الأكبر لمعبد (اونو) الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد في مصر البطلمية وابى ألا أن يدون تاريخ قومه منذ بدء الخليقة وحتى نهاية الأسرة الثلاثين (٣٧٨ق.م - ٣٤١ق.م) في الـ (اجيبتيا) أولى موسوعات التاريخ.

وفي عام ١٤٦٨ ق.م أسس فرعون مصر تحتمس الثالث الامبراطورية المصرية .. أولى امبراطوريات التاريخ وأصبحت مصر على يديه صاحبة السلطة والنفوذ واليد الطولى في منطقة غرب آسيا وذخلت سوريا وفلسطين وجزر البحر الأبيض المتوسط في طاعة حاكم طيبة وبذلك امتد سلطانه إلى حوالي ٣٢٠ كم من الفرات في الشمال إلى نبتا في أقصى الجنوب.

والتاريخ القديم يحتاج إلى مجلدات لا حصر لها .. ولا يسعني المجال هنا لأن اسهب أكثـر من ذلك في بيان أسباب ظهور كلمة أن مصر أم الدنيا .. وتكفي تلك الإشارات السريعة فالمكتبة العربية مليئة بكتب تتحدث في هذا الموضوع بإسهاب وأهمها كتاب شخصية مصر للدكتور جمال حمدان .. والقومية المصرية للدكتور السيد نصر الدين العدد ٣٢٦ من سلسلة كتاب اليوم.

* * *

وتبقى فقط بعض الإشارات السريعة لتفسير معنى أم الدنيا كما تحدث عنها القرآن الكريم والرسول العظيم ﷺ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابته : «اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندًا كثيفا. فذلك الجند خير اجناد الأرض.

فقال أبو بكر رضي الله عنه .. ولم يا رسول الله؟

قال عليه الصلاة والسلام : لأنهم هم وازواجهم في رباط إلى يوم القيامة».

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان عن تفسيره لقول الله عز وجل في الآية ٩٩ من سورة يوسف ﴿ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾ !

قال ياقوت عن قوله ﴿ اهبطوا مصر ﴾ ثم ﴿ فإن لكم ما سألتم ﴾ ان هذا تعظيم لها (أي لمصر) فإن موضعًا يوجد فيه ما يسألون لا يكون إلا عظيمًا. ولم يذكر عز وجل مدينة بعينها بمدح غير مكة ومصر.

وقال تعالى ﴿ واوحينا إلى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا ﴾ وسمى الله تعالى ملك مصر العزيز بقوله تعالى

﴿ وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴾ وقالوا ليوسف حين ملك مصر ﴿ يأيها العزيز ﴾ فكانت هذه تحية عظمائهم .

* * *

وأخيرًا فابن خلدون هو الذي قال في مقدمته الشهيرة : ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر .. فهي أم العالم وايوان الإسلام وينبوع العالم والصنائع.

مُفاوَضاتُ النفسِ الطّويــــل...
ومُلاحقــة الإسـرائيليين بالسّـلامِ

الاسبوع الأخير من شهر ابريل ١٩٩٢ له مذاق خاص .. فبالامس كانت مصر تحتفل بذكرى عزيزة جدًا عليها وعلى العرب أيضًا وهي انتصار الإرادة المصرية في معركة السلام وعودة طابا حيث استكملت بها مصر تحرير كل ترابها الوطني .. احتفلت مصر بمرور عشر سنوات على تحرير سيناء وعودة جميع أراضيها إلى السيادة المصرية.

وغدا تبدأ جولة جديدة من المفاوضات هي الجولة الخامسة بين اسرائيل ووفود سورية ولبنانية وأردنية وفلسطينية.

يوم ١٤ ابريل ١٩٩٢ وجه الرئيس حسني مبارك نصيحة للوفد الفلسطيني الذي يشارك في تلك المفاوضات قال لهم انه من الضروري التمسك بسياسة النفس الطويل في المفاوضات مع اسرائيل والتحلي بالثقة بالنفس والاستمرار في التفاوض مهما كانت

العقبات ودعاهم الى التصميم على التواصل الى نتائج ايجابية ما دامت القضية التي نتعامل معها هي قضية عادلة وواضحة.

وهذا الوفد الذي استقبله الرئيس مبارك كان برئاسة فيصل الحسيني ويضم ٢٤ عضوًا بينهم حنان عشراوي، وكان الوفد قد شهد في مصر ندوة نظمتها وزارة الخارجية المصرية ومنظمة التحرير الفلسطينية لبحث استراتيجية التفاوض العربية مع الاسرائيليين وتبادل وجهات النظر والخبرات بما يساهم في دعم موقف المفاوضين الفلسطينيين في عملية السلام حيث استمع الفلسطينيون إلى سلسلة من المحاضرات القاها خبراء سياسيون واساتذة في القانون الدولي وكلها تصب في اطار كيفية التفاوض مع الاسرائيليين باعتبار ان مصر لديها خبرة طويلة في هذا المجال، كان من أهم نتائجها صدور كلمة محكمة العدل الدولية لصالح مصر وخروج الاسرائيليين من طابا وعودتها إلى السيادة المصرية يوم ٢٥ ابريل عام ١٩٨٢.

ويوم الخميس غادر الوفد الفلسطيني الأراضي المحتلة في طريقه إلى واشنطن لحضور جولة المفاوضات الخامسة، وكان تصريح حنان عشراوي البليغ الذي يدل على ان الفلسطينيين يعرفون تمامًا طريقهم ويدركون حجم المشاق التي عليهم ان يتجاوزها ليحققوا حلمهم في تحرير الأرض الفلسطينية .. قالت حنان عشراوي ان المفاوضات ستكون شاقة للغاية واننا سوف نلاحق الاسرائيليين بالسلام حتى نحصل على حقوقنا.

وما يحدث الآن في عالمنا العربي يؤكد لنا اننا نعيش في زمن غريب اذا لم نفهمه فسوف نعيش على هامشه ونخسر كل شيء .. فالعرب بالذات هم الذين عليهم ان يحترموا الشرعية الدولية ويحلوا كل مشكلاتهم بالوسائل السلمية ولا يلجأوا لاستخدام السلاح .. وباختصار فانهم يفعلون ما يطلبه النظام العالمي الجديد الذي تحركه الولايات المتحدة .

وكأن هذا النظام ينظر إلينا نحن العرب فقط وكأننا موضع اتهام فإن اخطأ بعضنا فإن السلاح هو الاسلوب الذي يعالجونه به .. حدث ذلك في العراق ويحدث حاليًا في ليبيا .. وإذا كانت لنا حقوق فإن علينا أن نأخذها بالمفاوضات والصبر الطويل وبعض التنازل وهذا ما يحدث في مطالبتنا بأراضينا العربية التي احتلتها اسرائيل في سوريا ولبنان وفلسطين .

ـ لماذا يحدث ذلك ؟!

ـ الاجابة ببساطة شديدة هي .. لأننا ضعفاء ..

اسرائيل ليست أقوى منا .. فنحن بعدد السكان وبالامكانيات المادية والمعنوية افضل .. لكننا ملايين متفرقة .. لا تجمعنا كلمة واحدة .. ولا نصطف خلف هدف واحد .

عندنا اتجاهات كثيرة تتصارع في العالم العربي .. وهذه الاتجاهات هي التي تستهلك قوتنا .. وتجعل العالم كله ينظر إلينا بعين الاتهام .. لهذا يطبقون علينا مفاهيم حول الشرعية الدولية والنظام العالمي الجديد .

وإذا كنت أقول ان كلمات حنان عشراوي الأخيرة عن ملاحقة الاسرائيليين بالسلام حتى الحصول على حقوقنا .. انها كلمات ذكية وتعنى ادراكًا لطبيعة العصر الذي نعيش فيه .. فهي وبكل أسف تعكس أيضًا حجم القدرة العربية في عالم اليوم تعكس تقهقر الروح الثورية التي عشناها سنوات عمرنا الأولى وتراجع فترة المد القومي والشعارات الوطنية تعكس أيضًا ضعفنا أمام انفسنا ونحن نقبل الأمر الواقع من أجل حصولنا على حقوقنا.

ان الذين يتفاوضون الآن باسم الفلسطينيين ليسوا هم الذين حملوا السلاح في السنوات الماضية مما يعني ان عهدًا جديدًا ندخله بمفاهيم جديدة نخضع لها من أجل ان نحصل على حقوقنا .. وليت ذلك يكون قريبًا .

سألني صديق، أليس من الغريب أن يكون الذين تفاوضوا من مصر مع اسرائيل هم القادة العسكريين أنفسهم الذين حاربوا عدوهم .. بينما الذين يتفاوضون الآن مع اسرائيل هم قادة سياسيون .

ولم أجد اجابة لسؤال صديقي غير أن أقول له انها طبيعة العصر .. والظروف التاريخية التي نخضع لها .. وربما أيضًا لأن بعض العرب مازالوا حتى الآن يتصورون أنهم سوف يحاربون اسرائيل إذا لم تنجح مفاوضات السياسيين .

أفـــــراح عبـد الشـــافي

منذ أن عاد حيدر عبد الشافي رئيس الوفد الفلسطيني في مؤتمر مدريد ١٩٩١ .. إلى منزله في وسط غزة وطابور المهنئين لا ينقطع عن منزله .. وكأن هذا المنزل في حالة فرح.

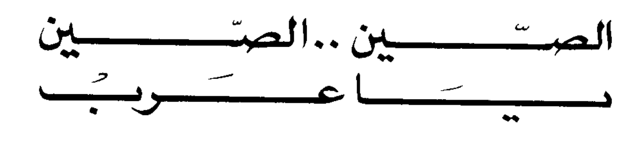
هو نفسه قال : الناس هنا أكثر مما كانوا يوم زفافي ..

لقد ذهبوا لكي يهنئوه وهم من المؤيدين للعملية السلمية والمعارضين لها أيضًا وهو يستقبلهم جميعًا بترحاب الأب الذي يوزع اهتمامه وحبه للجميع.

وحيدر عبد الشافي الذي عرفه الجميع فجأة قبل مؤتمر مدريد بأيام قليلة هو تاريخ من النضال السياسي دفاعًا عن الحق الفلسطيني وفي قطاع غزة يطلقون عليه «المناضل المخضرم».

فقد كان نائبًا لرئيس أول مجلس وطني فلسطيني عام ١٩٦٤ وهو من مواليد عام ١٩١٩ وحصل على بكالوريوس الطب من الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٤٣ ويرأس جمعية الهلال الأحمر في غزة منذ عام ١٩٧٢.

وكان قد ابعد عن وطنه عام ١٩٦٧ .. وابعدته السلطات الاسرائيلية إلى لبنان عام ١٩٧٠ .. ثم عاد بعد ٣ شهور بعد مساعٍ قام بها الصليب الأحمر .



كان المشهد غريبًا .. شبان وفتيات في عمر الزهور يجلسون على الأرض أمام الفندق .. يرفعون اللافتات ..

أما المشهد فقد نقلته محطات التلفزيون العالمية من ليبيا .

وأما الشبان والفتيات فكانوا يحتجون على الزيارة التي يقوم بها لطرابلس فلاديمير بتروفسكي مبعوث د. بطرس غالي السكرتير العام للأمم المتحدة.

ومن بين اللافتات التي استوقفت العين : لن نسلم أولادنا وأخرى تقول: تحية للهند والصين.

وتوجيه التحية إلى هاتين الدولتين يرجع إلى انهما امتنعتا عن التصويت على القرار رقم ٧٤٨ الذي أصدره مجلس الأمن الدولي بفرض حظر جوي على ليبيا ابتداء من ١٥ أبريل .

وبالطبع فإن موقف الصين هو أهم ما في القضية كلها .. فلأول مرة تخرج دولة من الدول دائمة العضوية عن الانصياع إلى ما تريده الولايات المتحدة .. صحيح انها لم تستخدم حق الفيتو ولكنها رفضت القرار .. وامتنعت عن التصويت والموقف الصيني في جوهره يعني عدم الموافقة على مضمون القرار .. لكن مصالح أخرى منعتها من ترجمة هذا الاعتراض إلى استخدام الفيتو .. ولو حدث ذلك لتغيرت أشياء كثيرة في عالم اليوم.

فمنذ حرب تحرير الكويت ونحن نرى جميع القرارات التي يصدرها مجلس الأمن طبقًا للرغبة الأمريكية تتم بالموافقة والدول دائمة العضوية توافق على ما تريده الولايات المتحدة .

هذه المرة .. لم تكن كسابقتها .. فالصين كانت تستطيع أن تفعل ما لم تستطع أن تفعله دولة مثل روسيا أو بريطانيا أو حتى فرنسا

ان عصر الهيمنة الأمريكية الذي نعيشه الآن يمكن أن يستمر طويلًا وتضيع فيه الشعوب المغلوبة على أمرها .. وهي شعوب العالم الثالث وفي مقدمتها الدول العربية.

* * *

لقد كنا نعيش في الماضي معتمدين على لعبة التوازن الدولي كانت هناك قوتان كبيرتان في العالم .. وكان بينهما تنافس .. وكنا نحتكم إلى أحداهما أو نستند إليها اذا تعرضت لنا الأخرى ..

والآن بعد تفكك الاتحاد السوفيتي أصبحت هناك قوة واحدة وهي الولايات المتحدة وبالتالي فإن ما تريده لا بد أن ينفذ حتى ولو كان غير عادل ..

ان هذا ما نلاحظه بالفعل .. فكل قوانين الشرعية الدولية تطبق على العالم العربي .. وربما دول العالم الثالث كلها .. ولكنها لا تعرف طريقها إلى اسرائيل .

احتل العراق أرضًا غير أرضه .. فعاقبته الولايات المتحدة وما تزال .. بينما اسرائيل تحتل اراضي اكبر واوسع وتهدد سلام المنطقة .. ولم تجد قوانين الشرعية الدولية تطبق نحوها ..حتى قرارات مجلس الأمن نفسها لا تنفذها اسرائيل بينما يتم اجبار ليبيا على تطبيقها.

والأمثلة كثيرة .. وكلها تؤيد في النهاية ان القوة الوحيدة في العالم تفعل ما تشاء وتحمي من تشاء وتعاقب من تريد ان تعاقبه لأن أحدًا لا يستطيع مواجهتها.

* * *

ومن هنا ـ انا شخصيًا ـ انظر إلى موقف الصين على أنها دولة مختلفة تمامًا في نظامها وأفكارها وأهدافها عن القوة الأولى في عالم اليوم .. فلماذا لا نحسن التخطيط نحو المستقبل ونحتشد خلفها لتصبح القوة الأخرى التي تكسر شوكة القوة الأمريكية التي تسعى للسيطرة على العالم .

لماذا لا يفكر العرب في التكتل وراء قوة أخرى بيدها قرار (فيتو) يمكن ان يحميهم من بطش العصر الذي تحدد معالمه واشنطن.

ان المسألة ليست سهلة بالطبع فهناك مصالح مشتركة بين الولايات المتحدة والعالم العربي .. ولكن التخطيط للغد يمكن ان يفيدنا ..

ان دعم التعاون بشكل أوسع مع الصين يمكن أن يجعلها قوة تتقدم دول العالم الثالث كله وإذا اغناها العالم الثالث عن ان تحتاج إلى الغرب .. فإنها يومئذ تستطيع ان تصنع التوازن الذي تحتاج إليه الشعوب الضعيفة.

* * *

لقد كان الموقف الصيني في مجلس الأمن محسوبًا بلغة المصالح فالصين امتنعت عن التصويت على القرار رقم ٧٤٨ لكي تحافظ على دعم دول العالم الثالث ودول عدم الانحياز في مسألة حقوق الإنسان التي كانت قد اثارتها الولايات المتحدة منذ عدة شهور واتهمت الصين بأنها تنتهك حقوق الإنسان .

وهو ما رفضته الصين يومها واعتبرته تدخلًا في شئونها الداخلية.

وفي شهر مارس ١٩٩٢ استفادت الصين من موقف دول العالم الثالث خلال التصويت في لجنة حقوق الإنسان بالأمم المتحدة في جنيف .. حيث جاء التصويت إلى جانب الصين مما أدى إلى رفض قرار كانت تزمع اللجنة اصداره بإدانة الصين لانتهاكها حقوق الإنسان .

والصين أيضًا واحدة من الدول التي تصدر الأسلحة وتربطها ببعض دول العالم الثالث اتفاقيات يتم بموجبها تصدير اسلحتها لهذه الدول.

وكان المسئولون الصينيون قد أعلنوا قبل ذلك عن رغبتهم في تدعيم العلاقات مع دول العالم الثالث.

وفي الثالث والعشرين من مارس عام ١٩٩٢ أعلن كيان كيشان وزير الخارجية الصيني أن بلاده تعارض فرض عقوبات على ليبيا .. ولهذا جاء موقفها بالامتناع عن التصويت على القرار داخل مجلس الأمن .

والسؤال الذي يثور هو لماذا لم ترفض هذا القرار ؟

الاجابة ببساطة أن هناك علاقات تجارية بين الصين والولايات المتحدة وتهديدها يمكن أن يؤثر على الاقتصاد الصيني .. ولهذا فهي لا تستطيع ان تقف - الآن - في مواجهة مع الولايات المتحدة من منطلق الحرص على مصالحها الخاصة ولهذا فإن الامتناع عن التصويت يحقق الهدفين في وقت واحد فلا هي اعاقت القرار الأمريكي .. ولا هي تخلت عن موقفها المعارض للعقوبات .

* * *

الصين يا عرب ..
.. مرة أخرى

نشرت الراية يوم ١٩ ابريل ١٩٩٢ مقالًا بقلم محمد إسماعيل الأنصاري في صفحة المنبر الحر .. يتعرض بالنقد لمقالي الذي كتبته بعنوان (الصين .. الصين .. يا عرب) وقبل أن ارد على ذلك المقال اشكر للسيد محمد اسماعيل الانصاري اهتمامه بكتابة هذا الرد الذي كان موضوعيًا الى حد كبير وان كان يختلف تمامًا عما قصدته في مقالي ..

وانا اتفق معه تمامًا على ان العرب يجب أن يعتمدوا على انفسهم وان يعودوا إلى دينهم فلن تنفعهم لا أمريكا ولا روسيا ولا الصين .. والنافع الوحيد لهم هو اعتصامهم بحبل الله والا يتفرقوا، ولكني كنت اقصد اننا الآن أمام مشكلة وهي أن كل ما تريده واشنطن تحصل على موافقة بتنفيذه من الدول دائمة العضوية بمجلس الأمن

واستخدام حق الفيتو يمكن أن يغير معالم النظام العالمي الجديد الذي تريده الولايات المتحدة .. ولعلنا نذكر يوم وقع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .. وكيف ان الفيتو السوفيتي غير الموقف .

وأذكر لك موقفًا آخر استفاد منه العرب من خلال لعبة التوازن الدولي، فحين اراد الأمريكان محاربة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر لجأ الى الاتحاد السوفيتي الذي ساعده في بناء السد العالي .. وهو نفس الأسلوب الذي استخدمه الزعيم الراحل أنور السادات حين طرد الخبراء السوفيت من مصر .. وبدأ يخاطب الولايات المتحدة وهو يسعى لتحرير الأرض المصرية من الاحتلال الاسرائيلي.

وأقول في النهاية ان كل اتجاه له ثمن .. وان العرب يدفعون باستمرار فاتورة بناء أنفسهم ولهذا كانوا ينحازون لاتجاه ضد آخر مع علمهم ان الاثنين عندهما الكثير من العيوب، وأعرف تمامًا ان الصين نظام شيوعي لا يتفق مع قيمنا ودينا ولكني فقط أردت التفكير في كيفية التعامل بلغة العصر .. وأقول أن لغة المصالح السياسية في هذا العصر تقتضي ان نجذب الصين إلينا ونستفيد من سلاح خطير في يدها وهو الفيتو لنواجه التسلط الأمريكي .. ولا شيء غير ذلك ..

وهذا هو الحل الاسرع لنحمي حقوقنا في عالم اليوم .. أما الحل الأهم فهو ان نكون نحن العرب قوة مؤثرة في العالم وساعتها لن نحتاج لأمريكا ولا روسيا ولا الصين ولا أية قوة أخرى ..

وهذا يتحقق حين نعود إلى الله ونعتصم بحبله .. ويبقى السؤال .. متى يحدث ذلك ..؟! ارجو أن يكون قريبًا .

أكتوبر ١٩٧٣ مــا أبعــد اليــوم عــن الأمــس!!

يوم بدأت حرب ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ كان عدد سكان مصر ٣٥ مليون نسمة. الآن زادت مصر عشرين مليونًا تقريبًا في ١٨ عامًا(١).

ما أبعد اليوم عن الأمس .. تغيرت كثيرًا خريطة المنطقة .

تغير أيضًا وجه الحياة في مصر .. ففي ذكرى اليوم الذي شهد واحدًا من أعظم انتصارات العرب .. وقعت مأساة لبطل هذا الانتصار ..

مات أنور السادات يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ ليبدأ حسني مبارك عهدًا جديدًا في مصر .. وليكمل الانتصار الذي شارك فيه بضربته الجوية .

---

١ ـ الراية ٦ اكتوبر ١٩٩١م.

أكمله بالمفاوضات وتحررت آخر قطعة من تراب مصر وهي طابا .. بفضل مثابرته وصبره الطويل على التعنت والمراوغات الاسرائيلية .

ومن سخرية القدر أن تحتفل مصر في أسبوع واحد بثلاث مناسبات تلخص تاريخها الحديث .

هذا الأسبوع الذي يبدأ بالاحتفال بذكرى وفاة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر .. ثم انتصار اكتوبر ووفاة أنور السادات وتولي الرئيس حسني مبارك قيادة مصر.

ثلاثة أحداث ضخمة هزت مصر .. ولخصت تاريخها الحديث انتهاء الحقبة الناصرية وانتهاء الحقبة الساداتية .. وبدء عصر مبارك .

وقد شهدت الحقبة الساداتية أعظم انتصارات العرب في العصر الحديث .. وشهدت تطورات جذرية في المجتمع المصري .

تغير كثير من المفاهيم .. وظهرت قيم جديدة بعضها افاد المجتمع المصري وبعضها الآخر سبب له اضرارًا كبيرة لكن ما يحسب للسادات يفوق ما يؤخذ عليه.

ان حرب ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ كانت انجازًا عبقريًا بكل المقاييس.

ان أنور السادات نفسه يتحدث عن هذه الحرب قائلًا ان القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة على أي مقياس عسكري .. لقد أعطت نفسها بالكامل لواجبها واستوعبت النصر كله تدريبًا وسلاحًا .. عملًا واقتدارًا .. وحين اصدرت لها الأمر ان ترد على استفزاز العدو وان تكبح جماح غروره .. فإنها اثبتت نفسها .

ان هذه القوات أخذت في يدها بعد صدور الأمر لها زمام المبادأة وحققت مفاجأة للعدو .. وافقدته توازنه بحركتها السريعة .

كتبت مجلة التايم الأمريكية في نوفمبر ١٩٧٣: ان التكنولوجيا المصرية قد جعلت العصر الذي كانت الدبابات والطائرات تسود فيه ميدان القتال يذهب في ذمة التاريخ .

وقالت صحيفة التايمز البريطانية ان العرب حققوا الانتصار وبرهنوا على أن قواتهم تستطيع ان تقابل وان تستخدم الاسلحة المعقدة بنجاح كبير .. كما ان القادة العرب اثبتوا انهم يقودون ببراعة .

وجاء في تقرير لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي في ١٣ ديسمبر ١٩٧٣ ان عملية العبور تعد في ذاتها مظهرًا أكيدًا لتحسن القدرة القتالية للجندي

المصري فإن عملية الخداع التي صاحبت الاستعداد المصري للقتال والقدرة على كتمان هذه الاستعدادات لمدة طويلة واخفائها عن أعين الاسرائيليين أمر يجب أن يلقى اهتمامًا كبيرًا .

ومن أهم نتائج حرب ١٩٧٣ انها اسقطت وهمًا كان يسيطر على العالم بأن العالم العربي مجرد شعوب متفرقة متخلفة .. مهزومة وأن القوة الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط هي اسرائيل .

لقد زرعت هذا الوهم .. اسرائيل مستغلة هزيمة العرب في ٥ يونيو ١٩٦٧ واحتلالها لأراض عربية واسعة .

لقد اعادت حرب اكتوبر اكتشاف الحجم الحقيقي لقوة العرب في عالم اليوم .

ان هذا اليوم الذي عبرت فيه القوات المصرية قناة السويس وزحفت فيه القوات السورية في الجولان كان شهادة ميلاد جديدة للعرب من المشرق إلى المغرب لأن الجميع شارك في هذه الحرب بشكل أو بآخر سواء بالدعم المالي أو العسكري أو المعنوي .

اختارت القيادةالمصرية أن يكون هجوم القوات المصرية في الساعة الثانية ظهر يوم ٦ أكتوبر على خط المواجهة الذي يمتد بطول ١٨٠ كيلو مترا .. وهو طول قناة السويس من بورسعيد في الشمال إلى السويس في الجنوب .. حتى يرتبك العدو وحين يبدأ الهجوم يكون هذا الرد موزعًا على طول خط المواجهة وبالتالي يكون هذا الرد ضعيفًا .. وقد كان ذلك تخطيطًا جيدًا.

عند الساعة الثانية وثلاث دقائق تقريبًا قامت ٢٠٠ طائرة مصرية بتنفيذ الضربة الأولى على مواقع العدو الاسرائيلي الحساسة في الجبهة و ١٠٠ طائرة سورية تنفذ الضربة الأولى في الجولان .

أعقب ذلك ٢٠٠٠ مدفع تدك الحصون الاسرائيلية .. ثم يقوم ٨ آلاف جندي على قوارب مطاطية وجسور صناعية بعبور قناة السويس .. واخترقت القوات المصرية خط بارليف ورفعت العلم المصري على الضفة الشرقية للقناة والقوات السورية تحرر جبل الشيخ وبعض المواقع الأخرى .. ويوم ٨ أكتوبر حررت القوات المصرية مدينة القنطرة شرق .. وتوغلت في صحراء سيناء .

كان للمفاجأة الذكية وقع الصاعقة على العدو كأن الجحيم تفتح أبوابها فجأة لتلتهم جنود اسرائيل وسارعت إلى طلب النجدة من الولايات المتحدة .

* * *

وأعلنت اسرائيل أيضًا استدعاء الاحتياط والجنرالات الذين شاركوا في حرب ١٩٦٧ واستمرت المعارك والقوات المصرية والسورية تزحف لتحرير الأرض وتعزيز المواقع .. حتى جاءت المساعدات الأمريكية عبر جسر جوي سريع لاسرائيل .

وفي يوم ١٥ اكتوبر فتحت القوات الاسرائيلية ثغرة تسللت منها عبر البحيرات المرة إلى الضفة الغربية لقناة السويس بواسطة قوة خاصة .

وتستمر الحرب العنيفة وتشهد ارض سيناء اشرس معارك الدبابات في تاريخها بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية .. التي تستمر في تعزيز قواتها عبر ٣ جسور اقامتها فوق القناة .. في نفس الوقت الذي تواصل فيه القوات المصرية تقدمها في سيناء.

كانت القيادة العسكرية المصرية ترى ان هدف الثغرة هدف اعلامي أكثر منه عسكري .. لأن محاصرة هؤلاء الجنود وابادتهم بالكامل كان تحت السيطرة المصرية .

وفي يوم ٢٢ اكتوبر يصدر مجلس الأمن قرارًا بوقف اطلاق النار .. وافقت عليه اسرائيل ومصر والأردن ورغم ذلك تستمر المعارك والتقدم لاحتلال مواقع تفيد حين تبدأ المفاوضات.

وفي اليوم التالي يصدر مجلس الأمن قرارًا ثانيًا يجدد فيه الدعوة لوقف القتال والعودة إلى المواقع التي كانت قبل صدور قرار المجلس .. ويقرر ارسال مراقبين دوليين للاشراف على وقف اطلاق النار .

ويوم ٢٤ اكتوبر تعلن سوريا قبولها وقف اطلاق النار على أساس ان تنسحب اسرائيل من كل الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧.

وفي هذا اليوم أيضا كانت القوات المصرية قد اصبحت تسيطر على حوالي ٣٠٠٠ كيلو متر بالشاطىء الشرقي لقناة السويس أي أنها تسيطر على الشاطىء كله باستثناء ثغرة بسيطة ملاصقة للبحيرات المرة .

وأمام هذه الهزيمة الساحقة للجيش الاسرائيلي كان عليه ان يبحث عن أي دور بطولي مهما كانت التضحيات فحاول جنوده في الثغرة التقدم نحو مدينة السويس لكنهم فشلوا أمام دفاع أهل المدينة وبسالة الجندي المصري .

ويوم ٢٥ اكتوبر يصدر مجلس الأمن قرارًا يدعو لارسال قوة طوارىء دولية ويجدد مطالبته بالالتزام بوقف اطلاق النار.

* * *

ما أبعد اليوم عن الأمس .

١٨ عامًا مضت على عالمنا العربي .. وكأننا لم نتعلم الدرس.

اننا نبدأ الآن معركة جديدة .. صعبة وهي معركة السلام التي وافقت منظمة التحرير على المشاركة فيها لكننا - وياللأسف - نسمع أصواتًا تطالب بالحل العسكري لتحرير فلسطين .

حسنًا أيها السادة انزلوا من ابراجكم العاجية .. وتعالوا على أرض الواقع لتقولوا لنا كيف ستحققون نصرًا عظيمًا كالذي حدث في اكتوبر ١٩٧٣.

وحتى اذا استطعتم ذلك فلا بد أنكم سوف تستكملونه بحل سياسي لأن احدًا في عالم اليوم الذي تحكمه الولايات المتحدة لن يترككم تقضون على اسرائيل نهائيًا هذا اذا تمكنتم من هزيمتها.

واتصور انه لا بد من الانصياع في النهاية لصوت العقل .

فلماذا لا تبدأوا من حيث انتهى الآخرو ن ؟

لماذا لا نخوض معركة السلام ونتخلى عن الشعارات والكلمات الضخمة ؟!

* * *

المشكلات المزمنة في لبنان

سألوا السيد عمر كرامي رئيس الحكومة اللبنانية عن موعد تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٤٢٥ وانسحاب اسرائيل من الشريط الحدودي المحتل .. فكانت اجابته بليغة تدل على ذكاء سياسي كبير قال: ليس من قبل ان اتمكن من الوصول إلى طرابلس عبر الطريق الساحلي ..

وكلام كرامي يعني أن الميليشيات يجب أن تختفي وان تبسط الحكومة سلطتها الشرعية على جميع الأراضي اللبنانية.

والكلام معناه انه لا يمكنك ان تحل المشكلات الكبيرة مع الخارج إلا إذا استطعت حل المشكلات الصغيرة بالداخل .

* الراية ـ ٧ مايو ١٩٩١.

ولا يعقل ان تسعى الحكومة اللبنانية لحل مشكلة الاحتلال الاسرائيلي لأراضيها بالجنوب .. بينما هي لم تستطع حل مشكلة تدخل في نطاق عملها .. ولهذا كان من الطبيعي ان تحصر حكومة كرامي جهدها الاساسي في حل الميليشيات وانتشار الجيش في كل المناطق فالدولة التي لا تستطيع بسط سلطتها على اراضيها لا يمكنها ان تقيم دولة .

الدولة القوية .. هي الحكومة القادرة على تكوين جيش قوي واقتصاد قوي .. وربما كان الاقتصاد والجيش يشغلان الاهتمام الأكبر لعمر كرامي يوم عين رئيسًا للحكومة تمامًا كما كان الشغل الشاغل لرئيس الحكومة السابق د. سليم الحص.

ولا أحد ينكر تأثير أزمة الخليج على لبنان .. ولهذا تاخرت التنمية الاقتصادية وبدأ الجيش ببناء نفسه منذ تولي قيادته العماد اميل لحود .

والملاحظ أن لبنان بلد يعاني سوء الحظ فيخرج من مشكلة ليقع في أخرى .. يحل أزمة فتتحداه أزمات متعددة .. وهكذا ضاع من عمره ١٦ عامًا .. راح ضحيتها مئات القتلى وتضررت أو تهدمت آلاف المباني .. وهجره اللبنانيون .

الآن يختلف الأمر .. فالوطن الذي هدمه ابناؤه .. يبدأ الآن مسيرته نحو البناء بأيدي ابنائه أيضًا ..

لقد بدأ الرئيس الياس الهراوي عهدًا جديدًا في لبنان .

* * *

ترى هل سيعود لبنان كما كان قبل ١٦ عامًا .. أم ان المشكلات التي ما زالت تواجهه سوف تحول إلى وطن يصيب الجميع بالاحباط .

إن لبنان يواجه الآن مشكلات من نوع مختلف عن تلك التي واجهها من قبل .. هناك مشكلة الفلسطينيين الذين يحملون السلاح ضد العدو الاسرائيلي وهم يمثلون الفصل الأخير في مشكلة الميليشيات التي سلمت سلاحها .

أيضًا هناك القرار رقم ٤٢٥ الخاص بانسحاب اسرائيل من الجنوب .

إن أكثر ما يثير الدهشة حقًا هو موضوع الفلسطينيين وتصوري الشخصي أن الحكومة اللبنانية تبدو مترددة أمام الفلسطينيين .. لقد حسمت الحكومة موقفها وقالت أن قرار حل الميليشيات يعني جميع الذين جاءوا إلى لبنان وأرادوا أن يحولوا كل مخيم أو قطعة أرض لبنانية إلى وطن لهم .

هذا هو السؤال الذي يدفعنا إلى القول أن حكومة كرامي مطالبة بأن تكون أكثر حزمًا وأن يكون إيقاعها أكثر سرعة. حتى لا تعطي فرصة للقيل والقال .

لقد تحدث الرئيس إلياس الهراوي أكثر من مرة عن الحلول لكل المشكلات التي تواجه لبنان .. وهي حلول تنتظر فقط التنفيذ .

قال الهراوي أنه إذا كنا أعددنا للفلسطينيين استقبالاً حسنًا فإن ذلك لا يعني أن يبنوا جيشًا داخل جيش ودولة ضمن دولة .. فإذا خضعوا لقرار الدولة فأهلاً وسهلاً بهم .. وإذا رفضوا فإنهم يعرفون مصير كل من حاول اعتراض مبدأ السلام في لبنان وآمل ان يتعظ اللبنانيون وغيرهم وان يظهروا النضج والتعقل لأن الحكم في لبنان لن يتهاون في مواجهة أدنى محاولة ضد السلام .

وقال الهراوي أن الفلسطينيين هم أساس كل الحروب القتالية التي اجتاحت التراب اللبناني ..

وأكد ان الخطأ الذي اقترفه الحكم في لبنان عام ١٩٦٩ بتوقيع اتفاق القاهرة الذي ينظم العلاقات اللبنانية الفلسطينية الغاه مجلس النواب اللبناني ولن تعود لبنان إلى اتفاقيات من هذا النوع.

ويبقى ان ننتظر مرور الأيام حتى نرى هل ينفذ هذا الكلام .. أم يتحول الوضع إلى مشكلة مزمنة بعد أن تتدخل أطراف أخرى في محاولة للتوصل إلى حل وسط .. رغم أن كلام الرئيس اللبناني لا يحتاج إلى توضيح أكثر .. فهو لن يسمح بغير الجيش اللبناني والسلاح اللبناني على التراب اللبناني .

ان الميليشيات اللبنانية يصل عددها إلى حوالي ٣٠ ألف جندي .. بالإضافة إلى ٧ آلاف جندي فلسطيني يشكلون الوجود الفلسطيني على الأرض اللبنانية وهم ينتشرون في عدة مناطق أهمها عين الحلوة حيث القوة الرئيسية لحركة فتح «أبو عمار» .. ويتوزع العدد الباقي في البقاع وصيدا والرشيدية وبرج البراجنة وصبرا وشاتيلا .. كل هذه المناطق توجد فيها مواقع للجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية والقيادة العامة والصاعقة وفتح الانتفاضة .

وهؤلاء هم المشكلة التي تواجه الحكومة اللبنانية أما الميليشيات فأعضاؤها ينتظمون في حوالي ٧ منظمات أو أحزاب .

هناك الحزب التقدمي الاشتراكي ويتزعمه وليد جنبلاط وهو موجود في منطقة الجبل ويملك ٧٠ دبابة ولديه ٦ آلاف جندي .

وهناك القوات اللبنانية بقيادة سمير جعجع وتضم ٨ آلاف جندي ويملك ١٥٠ دبابة وتمد نفوذها على الطريق الساحلي من شمال بيروت «مصب نهر الكلب» إلى جسر المدفون وكسروان .

وأيضًا هناك حزب الله ولديه ٥ آلاف مقاتل في البقاع وبعض أجزاء إقليم التفاح والضاحية الجنوبية لبيروت .

وحركة أمل التي تضم ٦ آلاف مقاتل ينتشرون في بيروت الغربية ولبنان الجنوبي والبقاع وإقليم التفاح .. والزهراني .

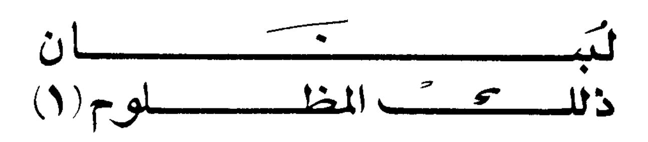
أما الحزب القومي السوري الاجتماعي فلديه ٣ آلاف جندي ويمد نفوذه وسيطرته إلى مناطق المتن وبيروت .

وهناك الحزب الشيوعي ويتزعمه جورج حاوي ولديه ١٥٠٠ مقاتل ولديه صحيفة اسمها «النداء» .

وحزب البعث الذي يتزعمه عبد الله الأمين لديه ألفا مقاتل وينتشر في التفاح وصيدا وبيروت .. بالإضافة إلى التنظيم الشعبي الناصري الذي يقوده مصطفى سعد ويوجد في مدينة صيدا والمرتفعات المحيطة بها .

هذه الميليشيات سلمت اسلحتها والمناطق التي تخضع لسيطرتها إلى الحكومة الشرعية والجيش اللبناني .

وبقي الفلسطينيون يبحثون عن حل وسط أو مشكلة مزمنة .. مع الحكومة التي تبدأ مرحلة الحسم .



لبنان ذلك المظلوم (١)

مظلوم لبنان .. فعلاً ..

ظلمه ابناؤه قبل أن يظلمه الآخرون .

ولا أعرف لماذا في كل مرة اثيرت فيها مشكلات لبنان خلال الشهور الماضية اتذكر قصيدة الشاعر الكبير نزار قباني .

ان كلمـاتها «قاسية» كأنها سكاكين تقطع الشرايين .. صعبة كأنها جرح ينزف في الجسد .

لقد غنتها المطربة ماجدة الرومي قبل أكثر من عامين .

يومها كنت في بيروت .. أزورها بعد توقيع اتفاق الطائف .. وكانت الأغنية قضية صحفية تثيرها الصحف اللبنانية .. التي كانت تهاجم اللحن .. معتبرة انه لم يكن على مستوى الكلمات ..

يقول نزار قباني :
نعترف أمام الله الواحد .
انا كنا منك نغار .
وكان جمالك يؤذينا .
نعترف الآن .
بأنا لم ننصفك ولم نرحمك .
بأنا لم نفهمك ولم نعذرك .
وأهديناك مكان الوردة سكينًا .
نعترف أمام الله العادل .
بأنا جرحناك واتعبناك .
بأنا حرقناك وابكيناك .
وحملناك أيا بيروت معاصينا .
يا بيروت ..
يا ست الدنيا يا بيروت .
يا بيروت ..
ان الدنيا بعدك ليست تكفينا .
الآن عرفنا ان جذورك ضاربة فينا .
الآن عرفنا ماذا اقترفت أيدينا .
قومي من تحت الردم .
كزهرة لوز في نيسان.
قومي من حزنك قومي .
ان الثورة تولد من رحم الأحزان .

* * *

ومشكلات لبنان عديدة ربما كان أهمها .

- الاحتلال الاسرائيلي للجنوب .

● الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها المواطن اللبناني هذا إلى جانب مشكلات هامشية تثيرها بعض الأطراف منها تأخر بناء الدولة التي ارسى قواعدها اتفاق الطائف بسبب الخلافات الحالية بين بعض أطراف الحكم ومقاطعة البعض للحكومة .. وظهور نداءات تطالب بانسحاب القوات السورية من لبنان .

اسرائيل نفسها تحاول ان تجد مبررًا لاحتلالها للجنوب بأنها تحمي حدودها من الوجود السوري ونسيت ان القوات السورية موجودة في لبنان بموجب اتفاقات ثنائية بين الحكومة اللبنانية والحكومة السورية لأن لبنان لم يسترد عافيته بعد وهناك بعض القوى المتربصة به هدفها النيل من استقراره.. ولهذا فوجود القوات السورية ضروري لأمن واستقرار لبنان في الفترة الحالية .

أما المشكلات الاقتصادية فإن الحكومة تجتهد في حلها ، فقد شكلت لجنة طوارىء لمعالجة الأمن الاقتصادي والاجتماعي من كل جوانبه تتكون من وزراء الدفاع والعدل والعمل والمال والاقتصاد والداخلية والاعلام .

وصرح أكثر من مسئول بالحكومة ان الأزمة الاقتصادية مفتعلة وبعد ذلك أصدرت الحكومة عدة قرارات لحماية الليرة اللبنانية ودعم الاقتصاد الوطني .

وكانت الحكومة اللبنانية قد أعدت دراسة قدمتها للبنك الدولي والصناديق والوكالات المتخصصة تتضمن احتياجه إلى مبلغ ٢٤ مليار دولار لاعادة بناء ما هدمته سنوات الحرب .

وقالت الدراسة ان لبنان يحتاج في السنوات الخمس الأولى إلى أربعة مليارات و ٥٠٠ مليون دولار لكي يستطيع ترميم وإعادة اصلاح شبكات الكهرباء والهاتف والمياه والطرق وانشاء المؤسسات الرسمية .

* * *

أما مشكلة الجنوب المحتل فهي متشعبة وصعبة .. ومن الغريب أن يكون الحق واضحًا لكن المجتمع الدولي يبعد عنه النظر .. فليس هناك خلاف على أن الجنوب أرض لبنانية محتلة .. وليس هناك مبرر شرعي يسمح لاسرائيل باحتلاله ومع ذلك ظل الاسرائيليون يحتلونه على مدى السنوات الماضية .. حيث دخل لبنان ضمن مشكلات الشرق الأوسط المستعصية الحل ..

والغريب ان يشارك لبنان في مفاوضات السلام التي عقدت على مدى الشهور الماضية في مدريد ثم واشنطن مع ان اراضيه احتلت نتيجة اجتياح اسرائيل ثم بعد حرب احتلت فيها اسرائيل الأراضي السورية والمصرية .. وهذه الحرب وقعت في اطار الصراع العربي الاسرائيلي الذي بدأ منذ احتلال اسرائيل لفلسطين وتشريد الشعب الفلسطيني.

أقول أن لبنان شارك في المفاوضات بوفد مستقل مع انه يمكن حل مشكلته بعيدًا عن المفاوضات باعتبارها فرعية لأن احتلال اراضيه تم في ظروف مختلفة عن الظروف التي تم فيها احتلال الأراضي العربية الأخرى بينما شارك الفلسطينيون ضمن وفد أردني مشترك مع انهم أساس المشكلة .

انها إحدى غرائب العالم الجديد الذي تقيمه الولايات المتحدة الامريكية ..

ان احتلال الجنوب اللبناني ظلم واضح أمام المجتمع الدولي ولا مبرر للتفاوض حول تحريره .. فهناك قرار من مجلس الأمن يطالب اسرائيل بالانسحاب وتنفيذه يعفينا من تضييع الوقت وربط لبنان بمشكلات أخرى مستعصية الحل في الوقت الراهن .

أقول ذلك لأن المفاوضات بين اسرائيل وسوريا والفلسطينيين تحتاج إلى وقت طويل لأن الحاجز النفسي بين العرب واسرائيل ما زال قائمًا .. ولكي تكسره اسرائيل فهي تحتاج إلى وقت طويل فلماذا تقحم لبنان في هذه المشكلات الصعبة .

* * *

سألت الدكتور سليم الحص رئيس الحكومة اللبنانية السابقة وكنت معه في منزله ببيروت الغربية بعد أيام قليلة من توقيع اتفاق الطائف .. سألته عن مشكلة الجنوب اللبناني فقال كلمة بالغة الدلالة ما زلت أتذكرها قال : «قضية الجنوب اللبناني تختزل قضية لبنان كله» .

ويومها أفاض د . الحص في شرح وجهة نظره وروى قصة الاجتياح الاسرائيلي للجنوب وكيف اصدرت الأمم المتحدة القرار ٤٢٥ الذي لم ينفذ حتى الآن وهو ما أصدره فيما بعد في كتابه المهم والرائع زمن الأمل والخيبة .

قال د. الحص أنه في أول فبراير ١٩٧٨ وقع انفجار قوي بالقرب من تل أبيب أدى إلى تدمير منزل ومصرع رجل وزوجته واصابة ثلاثة آخرين بجروح بليغة وقد شغل الحادث حيزًا ملفتًا من الاهتمام الاعلامي الاسرائيلي فظهر وكأن الحادث كان نذيرًا بتطورات جسيمة .

وفي ١١ فبراير ١٩٧٨ أي بعد عشرة أيام سجل شريط التطورات حدثا كبيرا كتب له أن يكون فاتحة فصل جديد في سفر المحنة اللبنانية .. فقد صدرت صحف الصباح في ذلك اليوم تبشر بأن المقاومة تخوض اعنف المعارك بين حيفا وتل ابيب .. وان اسرائيل فرضت حظر التجول على امتداد أربعين كيلو مترا من الساحل في تلك المنطقة وتحدثت وسائل الاعلام الاسرائيلية عن اصابات شملت ٢٦ قتيلاً و ٧٠ جريحا من المدنيين .

* * *

كان من المقرر أن يتوجه رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحم بيجن ووزير الخارجية موشى ديان لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية فأعلنا ارجاء الزيارة أما عزرا وايزمان وزير الدفاع الذي كان آنذاك في واشنطن فقد هدد بالانتقام .

أما ما ورد عن تفاصيل الحادث فهو ان مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين أطلقت على نفسها اسم «مجموعة دير ياسين» أعلنت انها من قوات الداخل التابعة لحركة (فتح) وهي التي نفذت الهجوم باسم عملية كمال عدوان القائد السابق لقوات الداخل الذي كان بين الذين استشهدوا في بيروت في عملية اقتحام نفذتها في ابريل عام ١٩٧٣ فرقة كوماندوز اسرائيلية وجاء في الرواية الاسرائيلية ان الفدائيين جاءوا في زورقين مطاطين إلى منطقة مجاورة لمدينة حيفا وتمكنوا من السيطرة على سيارة للركاب اتجهوا بها جنوبًا حتى ادركوا حافلة كانت متجهة إلى حيفا فاستولوا عليها فجمع الفدائيون ركاب السيارتين الذين كان عددهم يبلغ نحو ٨٠ شخصًا في السيارة الكبيرة وواصلوا السير في إتجاه تل أبيب فتصدت لهم قوات اسرائيلية على مشارف تل ابيب كانت قد نقلت إلى المنطقة على جناح السرعة برًا وجواً وما لبثت الحافلة أن انفجرت بركابها. وكان الفدائيون قد ترجلوا منها وتوزعوا في الحقول المحيطة .

قامت القوات الاسرائيلية على الفور باغلاق جميع الطرق المؤدية إلى تل أبيب والطرق المؤدية إلى القدس وباشرت عملية تفتيش ومطاردة واسعة ودقيقة .

استمرت العملية نحو يومين وانتهت بوقوع ٣٧ قتيلاً و ٨٦ جريحًا وباستشهاد الفدائيين جميعًا (الفتاة دلال المغربي ورفاقها العشرة) وقيل أن جثث ثلاثة منهم وجدت بين ركاب السيارة المحترقة .

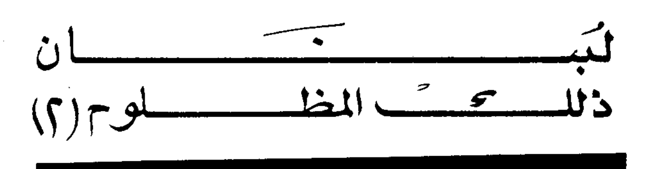
وتوالت التعليقات على الحادث من جانب المسئولين الاسرائيليين فقال وايزمان لدى عودته إلى تل ابيب قاطعًا زيارته لواشنطن انه يعتبر لبنان مسئولاً عن الغارة وفي مؤتمر صحفي عقده بيجن قال ان الفدائيين جاءوا من لبنان .. وهدد وتوعد .

ويقول د . الحص انه حين توجس شرًا من التعليقات الاسرائيلية ادلى بتصريح قال فيه انه من المستغرب جدًا ان يقحم اسم لبنان في بعض التصريحات التي وردت على لسان المسئولين الاسرائيليين حول الحادث الذي وقع أمس .. فغني عن البيان ان لبنان غير مسئول عما حدث ولا علاقة له به وأية محاولة لزج لبنان في الموضوع هي محض افتراء .

وفي اليوم التالي أي ١٣ فبراير ١٩٧٨ عقد مجلس الوزراء الاسرائيلي جلسة كانت هي الثانية منذ قيام العملية وقال بيجن بعدها ان العهد الذي كانت تراق فيه دماء اليهود من دون عقاب قد انقضى ، ونحن سنقوم بما يتعين علينا ان نقوم به من أجل الدفاع عن شعبنا وزعم مجددًا ان المجموعة الفدائية انطلقت من لبنان .

وكان واضحًا ان اسرائيل تستعد للاجتياح ..

* * *



وما زلت أتابع رواية د. سليم الحص حول عملية الاجتياح يقول أن فؤاد بطرس وزير الخارجية في ذلك الوقت اجتمع بسفراء الدول الكبرى ذات العضوية الدائمة في مجلس الأمن لوضعهم في صورة ما جرى وما يخشى من ردود فعل من جانب اسرائيل طالبًا السعى لتدارك الأسوأ .

ثم التقى د. الحص مع الرئيس الياس سركيس في حضور فؤاد بطرس لتقييم الموقف ومراجعة الحسابات والاتفاق على الخطوات التي تمليها الظروف داخليًا وخارجيًا .

وكان الجميع متفقين على أن عملية عسكرية ضخمة لا بد أن تحدث ضد لبنان .

وفي الساعة الواحدة والنصف من فجر يوم ١٤ مارس ١٩٧٨ بدأت اسرائيل اجتياح الجنوب في اضخم هجوم تشنه منذ عام ١٩٧٣ وكانت طلائع العملية قد بدأت حسب المصادر الفلسطينية عند الحادية عشرة قبل منتصف الليل .

وصدر بيان عن القيادة العسكرية الاسرئيلية سمى ما حدث «عملية تطهير» هدفها اجتثاث قواعد الفدائيين» قرب الحدود وضرب القواعد الخاصة التي انطلقوا منها في عملياتهم داخل اسرائيل .

وقد شنت القوات الغازية هجومها على جميع المحاور في وقت واحد واقتحمت الأرض اللبنانية بالمشاة والمدرعات عند كل نقاط الحدود .. ووردت تقارير عن عمليات بحرية قامت بها القوات الاسرائيلية في المياه الإقليمية اللبنانية قبالة مدينتي صور وصيدا وشهدت أجواء المنطقة الحدودية تحليقًا للطائرات المروحية طيلة النهار .

أعلن بيجن ان القوات الاسرائيلية احتلت شريطًا داخل الأراضي اللبنانية عمقه عشرة كيلو مترات وأنها لن تنسحب منه إلا بعد توقيع اتفاق يضمن عدم وجود أي فلسطيني في المنطقة .

وقال ان القوات الاسرائيلية انجزت المهمة الموكولة لها خلال ست عشرة ساعة منذ بدء العملية .

وقد حفل نهار ١٥ فبراير ١٩٧٨ بأعمال عسكرية عنيفة وواسعة فقد واجهت القوات المهاجمة مقاومة ضارية من جانب التنظيمات المسلحة الفلسطينية واللبنانية وتعرضت مناطق عديدة في الجنوب بما فيها صور والدامور والأوزاعي في جوار بيروت لقصف عنيف من الطيران .

* * *

أما مجلس الوزراء اللبناني فقد قرر بعد جلسة استثنائية اعلام مجلس الأمن الدولي بما جرى ويجري من عدوان اسرائيلي على لبنان وقرر مجلس الأمن عقد جلسة لبحث الأمر .

وفي ذلك اليوم صرح د. سليم الحص للصحافة بأن اسرائيل هي المسئولة عن استمرار الوضع الشاذ في الجنوب وهي التي حالت دون دخول قوات الردع العربية وهي قوات شرعية إلى ما دون خط معين في الجنوب سمي في حينه خطًا أحمر .

ورغم ذلك استمرت المعارك الضارية طوال يوم ١٦ فبراير ١٩٧٨ وواصلت الطائرات الاسرائيلية قصف مختلف المواقع في الجنوب وأعلنت اسرائيل انها قامت بتعزيز قواتها المتقدمة .

وفي المقابل شهد ذلك اليوم حركة نزوح كثيف في اتجاه صيدا وبيروت واقامت الهيئة العليا للاغاثة كمينًا لايواء النازحين في الملعب البلدي ببعبدا وآخر في الملعب البلدي ببيروت وبعض النازحين حلوا في المدارس الرسمية وبعض المباني غير المكتملة في بيروت الجنوبية .

وفي يوم ١٨ مارس ١٩٧٨ صدر تقرير عن الأمانة العامة للأمم المتحدة يشير إلى أن عدد القتلى بلغ ٧٠٠ من اللبنانيين والفلسطينيين الذين سقطوا خلال القتال في جنوب لبنان أما الذين شردوا من منازلهم فيبلغ عددهم حوالي ١٦٠ ألفا من الفلسطينيين.

ويـوم ١٩ مارس ١٩٧٨ صدر القـرار ٤٢٥ عن مجلس الأمن بعدما تبنى المجلس المشروع الأمريكي الذي كان يناقشه منذ اليوم السابق .

القرار يدعو إلى احترام وحدة أراضي لبنان وسيادته واستقلاله السياسي ضمن حدوده المعتـرف بهـا دوليًا ودعا القرار اسرائيل إلى إيقاف عملياتها العسكرية ضد الأراضي اللبنانية .

وقـرر في ضوء الطلب المقدم من حكومة لبنان ان ينشىء فورًا وتحت سلطة الأمم المتحدة قوة حفظ سلام مؤقتة في جنوب لبنان بهدف تأكيد ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية واقرار السلام والأمن الدوليين ومساعدة الحكومة اللبنانية على ضمان اعادة سلطتها الفعلية في المنطقة .

وطلب من الأمين العام للأمم المتحدة ان يقدم تقريرًا للمجلس خلال ٢٤ ساعة حول مراحل تطبيق هذا القرار .

في اليوم التالي اجتمعت جبهة الصمود والتصدي التي كانت موجودة في ذلك الوقت اجتمعت على مستوى وزراء الخارجية في دمشق وأكدت دعم لبنان والمقاومة .

ويوم ٢١ مارس ١٩٧٨ أعلن عزرا وايزمان وزير الحرب الاسرائيلي وقف اطلاق النار في خطوة فتحت الطريق أمام القوات الدولية لدخول منطقة الجنوب .

ويقول د. سليم الحص انه زار دمشق والتقى مع الرئيس السوري حافظ الأسد حيث ناقش معه الوضع في لبنان بعد الغزو الاسرائيلي حيث أكد الأسد دعم سوريا المطلق للبنان ووقوفها إلى جانبه وجانب الشعب الفلسطيني في مواجهة العدوان بكل الوسائل المتاحة .

* * *

نقلت إحدى الشبكات الاعلامية الأمريكية ذلك اليوم ما سمته مشروع اسرائيل للتعاطي مع الجنوب اللبناني وقد جاء فيه وجوب مرابطة قوة عسكرية اسرائيلية على نهر الليطاني للاشراف على مداخل الجسور ووجوب ان تبقى مدينة صور ميناء مدنيًا لا وجود فيه لمنظمة التحرير الفلسطينية وابعاد قوات منظمة التحرير عن النبطية وحاصبيا إلى شمالي الليطاني ووجوب تسيير دوريات في القرى الجنوبية اللبنانية «من السكان المحليين والجيش اللبناني والجنود اللبنانيين» وأخيرًا احتفاظ اسرائيل بعلاقتها الخاصة مع اللبنانيين المسيحيين ومنحهم «حقوقهم الشرعية» وهكذا كان واضحاً من هذا البرنامج ان اسرائيل لا تعتزم الانسحاب من الجنوب في وقت قريب .

في ١٩٧٨/٣/٢٣ وصلت إلى بيروت طلائع القوات الدولية التي سترابط في الجنوب وذلك بوصول الوحدة العسكرية الفرنسية عن طريق مطار بيروت الدولي .

واتم الفرنسيون ثم السويديون تمركزهم في منطقة صور والناقورة ووسعت القوات الدولية رقعة انتشارها في شتى الاتجاهات في الوقت الذي وصلت فيه قوات جديدة تسلمت جسر الخردلي وجسر القعقعية ورابطت مقابل جسر القاسمية .

وتصاعدت الحملة في الاوساط السياسية ضد الضابط المتعاون مع قوات الاحتلال الاسرائيلية سعد حداد فاستدعى الدكتور الحص قائد الجيش وطالبه بمحاسبته ومعاقبته فورًا .. ولكن الحص اكتشف أن الرئيس سركيس لم يكن مستعدًا بعد لاتخاذ القرار السياسي في هذا الشأن .

* * *

خلال الأيام التالية كانت الأخبار تتحدث عن أعمال تقوم بها قوات الاحتلال في الجنوب لتحصين مواقعها واحاطة بعض المناطق الحدودية بالاسلاك الشائكة وهدم بعض المنازل لقطع الطريق على عودة اصحابها وتطوير أساليب الضغط على الأهالي في المناطق الخاضعة لسيطرتها .

شرعت الدولة في العمل جديًّا على اعادة الأجهزة الأمنية إلى الجنوب فلقد وصل الجنرال سيلاسفيو منسق قوات الأمم المتحدة في الشرق الأوسط إلى بيروت واجتمع بوزير الدفاع فؤاد بطرس وقائد الجيش فيكتور خوري وبحث معهما في ترتيبات إعادة

قوى الأمن الداخلي والجيش إلى منطقة انتشار القوات الدولية، وعقد الجنرال ارسكين قائد القوات الدولية اجتماعات للغاية نفسها في مقر قيادته في صور مع ممثل عن المقاومة الفلسطينية وممثل عن قوى الأمن الداخلي وبحث معهما في تسلم الدرك اللبناني للمخافر .

أمام الضغط المتصاعد من الأمم المتحدة على اسرائيل لتنفيذ القرار ٤٢٥ بالإنسحاب من الأراضي اللبنانية أعلنت اسرائيل انها عازمة على اجراء انسحاب جزئي على مرحلتين من الأرض التي تحتلها وقد فسر هذا الموقف على أنه تأكيد على ان اسرائيل ليست تنوي الجلاء عن الأرض اللبنانية حسبما يقضي به القرار الدولي وإنما هي مصممة على تمويه حقيقة نواياها بإجراء تصحيح في رقعة احتلالها تبعًا لما تمليه مصالحها ويومها أعلن سليم الحص في تصريحات صحفية «ليس هذا ما يطلبه لبنان وليس هو ما ينص عليه قرار مجلس الأمن . اننا نطالب بالانسحاب الاسرائيلي الكامل من الأراضي اللبنانية وسوف نواصل الجهود والمساعي والضغوط إلى أن يتحقق ذلك فالأرض أرضنا ولن نقبل بأقل من عودتها كاملة وسريعًا إلينا أما أساليب العدو الاسرائيلي في المماطلة والتعقيد والمراوغة فمعروفة ووعينا لتلك الأساليب كفيل بتعطيلها واحباطها اننا أقوياء في موقفنا نستمد قوتنا من وضوح حقنا في أرضنا ولنا في معاضدة الاشقاء العرب خير سند لنا وفي صداقاتنا الدولية خير ذخر لنا في قضيتنا وقد جاء قرار مجلس الأمن معبرًا خير تعبير عن الارادة الدولية في دعم قضية لبنان وسنواصل تعبئة كل طاقاتنا وامكاناتنا على كل صعيد حتى يتحقق الانسحاب الاسرائيلي الكامل عن أرض لبنان .

ولقد لقينا سندًا لموقفنا هذا في موقف الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم وفي موقف الاتحاد السوفيتي ودول السوق الأوروبية المشتركة .

وقد نفذت اسرائيل انسحابها الجزئي الأول في ١٩٧٨/٤/١١ فاخلت بعض المواقع الثانوية في منطقة العرقوب ثم نفذت خطوة انسحاب ثان بعد بضعة أيام .. ووصف فالدهايم عملية الانسحاب بأنها بطيئة ودعا اسرائيل إلى تسريع خطاها ونقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن مصادر عسكرية اسرائيلية قولها في وصف العملية : «اننا نخسر القليل من الناحية العسكرية ولكننا نكسب الكثير من الناحية السياسية حيث الانسحاب يهدف أساسًا إلى امتصاص حدة الضغوط الدبلوماسية التي تمارس على اسرائيل «وفي هذا القول شاهد على هزال عملية الانسحاب المنفذة .

وما زلنا حتى الآن نعاني من هذا الاحتلال حيث ادخلت اسرائيل مشكلة الجنوب اللبناني في المفاوضات الطويلة الحالية في الشرق الأوسط .

لكن هذا لم يمنع لبنان من ممارسة دوره القومي إلى جانب اشقائه العرب حيث ظل يواجه هذا الاحتلال في جميع المحافل الدولية إلى جانب مشاركة الدول العربية في همومها وأحلامها .

ولعل أهم هذه المشاركات دور لبنان في قمة بغداد عام ١٩٧٨ التي تقرر فيها مقاطعة مصر بعد توقيعها اتفاقية كامب ديفيد في عهد الرئيس انور السادات .

كان للدكتور الحص دور مهم .. حيث تم تكليفه من مؤتمر القمة بنقل رسالة للرئيس السادات تتضمن دعوة السادات للتخلي عن نهج كامب ديفيد والعودة إلى العمل العربي المشترك .

وقال الرئيس الياس سركيس وهو ينقل تكليف قادة القمة إلى الحص أنه مفوض بابلاغ السادات شفهيًا ان المؤتمر على استعداد لاقرار مساعدة فورية لمصر مقدارها خمسة آلاف مليون دولار لتدعم امكانات صمودها العسكري والاقتصادي .

وغادر الحص والوفد المرافق له بغداد متجهًا إلى القاهرة وكان الوفد يضم الشيخ أحمد السويدي وزير خارجية الامارات وطارق عزيز وزير الاعلام العراقي واسكندر أحمد اسكندر وزير الاعلام السوري ..

* * *

لبنان
ذلك المظلوم (٣)

وصل الوفد المكلف من قمة بغداد برئاسة د. سليم الحص إلى مطار القاهرة ليجد الأبواب موصدة أمامه بقرار من الرئيس المصري الراحل أنور السادات.

يروي د. الحص ما حدث قائلاً:

كان في استقبالنا في مطار القاهرة اثنان من موظفي المراسم في وزارةالخارجية المصرية، وجرى بيني وبين الصحفيين في المطار حوار مقتضب تجاهلته وسائل الاعلام المصرية كليًا . وقد جرى بعضه بالعربية والبعض الآخر بالإنجليزية . وكانت اخبار مهمتنا قد سبقتنا إلى القاهرة، وابلغت رسميًا للمسئولين المصريين عبر سفارة العراق هناك . وعندما علم الرئيس السادات بالأمر كان يتأهب لحضور مجلس الشعب. في مناسبة افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة، وفي كلمته أمام المجلس قال:

«قبل ان آتي إليكم فوجئنا بالوكالات الأجنبية تقول ان المؤتمرين في بغداد قد أرسلوا وفدًا وأنه في الطريق فعلًا إلى القاهرة. لم يستأذنوا وهم يعلمون أننا نحتفل اليوم بافتتاح الدورة الثالثة .. ما كان لي أيها الأخوة والأخوات ان اقتطع من وقت مجلسكم الموقر بمثل هذا الحديث عمن عزلوا أنفسهم تحت شعار الرفض أو السلبية أو الحقد أو الجمود، لكنني قلت لكم اننا اخترنا الطريق الصعب واتخذنا القرار الصعب ..».

وبعد الجلسة قال في حديث صحفي :

«قالت وكالات الأنباء قبل أن احضر إلى هنا ان الوفد غادر فعلًا (بغداد) فبدأ الأمر وكأنه انذار. أنا لست على استعداد لمقابلة أي شخص باستثناء الملوك والرؤساء .

وهكذا كان الرد السلبي على مهمتنا جاهزًا ومعلنًا قبل أن تحط طائرتنا في مطار القاهرة. وقد سمعه بعضنا من خلال الإذاعة المصرية ونحن في طريقنا من المطار إلى القاهرة.

ويضيف د. الحص :

نقلنا من المطار إلى فندق شيراتون في القاهرة وانزلنا في الطابق العلوي وأمضينا أكثر من ثلاث ساعات في مقصورة فخمة في الفندق تعرف بالجناح الرئاسي حيث قدمت لنا المرطبات. وقد لازمنا سفير لبنان حسين العبد الله. وبعد فترة انتظار وترقب مرت ببطء شديد وثقيل على الأعصاب، عبرت على مقربة من الفندق وعلى مرأى منا طائرة مروحية قيل لنا انها تقل الرئيس السادات في إيابه من مجلس الشعب إلى منزله . ومكثنا في مكاننا نعد الدقائق إلى أن جاءنا أحد المسئولين المصريين، وعرف نفسه بأنه وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء وقال بمنتهى اللطف، لا بل في شيء من الحياء، أنه موفد من الرئيس السادات ليبلغنا اعتذاره عن مقابلتنا، وأوجز لنا النقاط التي وردت على لسان الرئيس السادات في خطابه، عند ذاك نهضنا للعودة. ووصلنا بغداد حوالي منتصف الليل، وقد رفضت البوح أمام الصحفيين، عند خروجنا من مطار القاهرة ، بموقف أو برأي، قائلًا ان ذلك يجب أن يكون ملك المؤتمر .

* * *

وصباح اليوم التالي انعقد مجلس القمة، ودعيت إلى الكلام، فرويت ما حصل لنا، وكان واضحًا ان موقف السادات أخذ على محمل اللطمة أو الاهانة للمؤتمر والمؤتمرين.

فكان ذلك حاسمًا في توجيه مسار المؤتمر الوجهة التي اتخذها في النتيجة. فقد عطل موقف السادات السلبي من الوفد ومهمته حجة المعتدلين وعزز موقف دعاة التصلب والشدة في التعاطي على مصر.

اعتقد ان الرئيس السادات اخطأ في حق نفسه وحق موقعه عندما اتخذ ذلك الموقف المتسرع في رفض لقائنا والاستماع الينا . كان واضحاً جدًا مما كان يبدر عن المسئولين الخليجيين. ولا سيما السعوديين، أحيانًا تصريح وأحيانًا تلميح أنهم كانوا على أحر من الجمر للعودة إلى بلادهم قبل عيد الأضحى موعد الحج ، الذي يفرض وجود المسئولين السعوديين في الأرض المقدسة. وكنت اتصور ان الرئيس السادات كان يستطيع تخريب جو المؤتمر لو استمهلنا حتى اليوم التالي لمقابلته ثم استمهلنا ثانية وثالثة بحجة الدرس والمشاورة والتفكير حتى يجيىء موعد الحج فينفرط عقد المؤتمر. قد يكون افتراضي هذا صحيحًا أو قد يكون غير صحيح ، ولكن حسابات الرئيس السادات كانت غير هذه الحسابات. فاختار الحسم والمصادمة، فنجح المؤتمر، وقد لا نجانب الحقيقة في القول ان فشل مهمتنا كان عاملاً أساسيًا في نجاح المؤتمر.

كان يقال : «لو زاد انف كليوباترا انشًا واحدًا لتغيرّ مجرى التاريخ». وقد يصح مثل هذا القول على كلمة واحدة لو لفظها الرئيس السادات في مجارات الموقف العربي. وقد يصح مثل هذا القول على كثير من أحداث التاريخ التي ارتبطت بموقف أو وقفة أو مجرد بنت شفة. وما أصدق هذا القول على سير الأحداث في لبنان.

وانتهى المؤتمر بموقف رافض للموقف المصري. أما ما يتعلق بلبنان فقد اتخذ المؤتمر قرارًا يتبنى مقررات بيت الدين ومساعدته على اعادة بناء منشآته. أما المبالغ المخصصة ومصادرها فكان من المفروض ان تقرر في اجتماع لوزراء المال العرب تدعو إليه جامعة الدول العربية خلال ثلاثة أشهر. لذلك سارعت غداة عودتي من بغداد إلى الاجتماع برئيس مجلس الانماء والاعمار الدكتور محمد عطا الله وطلبت منه اعداد دراسة عن حاجات لبنان الاعمارية والانمائية. ولكن توقعاتنا في هذا الصدد كانت في غير محلها فالاستعدادات العربية لمساعدة لبنان ماديًا لم تكن جاهزة على النطاق الذي كان في تصورنا.

* * *

والحقيقة ان مواقف د. الحص كانت في معظمها متوازنة ومتعقلة .. ولهذا كان جديرًا بالتقدير .. واذكر انني سألته مرة عن موقفه من المفاوضات مع اسرائيل .. وكان رأيه ان المفاوضات أحد أسلحة العصر .. فالذي لا يتحقق بالسلاح في الحروب يمكن أن يتحقق بأسلحة أخرى في أوقات السلم ..

ولهذا كان موقفه المؤيد لاتفاق الطائف الذي انهى سنوات المحنة في لبنان .

ويوم كنت في بيروت ـ أغسطس ١٩٨٩ ـ اشتريت كتابًا وجدته غريبًا .. وربما جريئًا .. من إحدى المكتبات في بيروت كان عنوانه لبنان آخر وأطول حروب اسرائيل ووجدت فيه معلومات غريبة .. اثرتها مع بعض السياسيين والمفكرين والصحفيين اللبنانيين .. ومعظمهم عارض ما جاء في هذا الكتاب .. وسألتهم .. ما دام ما قاله هذا الكتاب خطأ .. فلماذا لم تظهر كتب أخرى تصحح ما فيه .

* * *

ان هذا الكتاب يتحدث عن اتصالات اسرائيلية لبنانية تمت منذ سنوات عديدة .. أي قبل ان نسمع عن المواقف المتشددة التي عارضت صلح السادات مع اسرائيل وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد .

ان الكتاب مترجم لمؤلفين اسرائيليين أي انه يحمل وجهة النظر الاسرائيلية .. ولكن المترجم لبناني وهو علي حداد والكتاب مطبوع في لبنان ويوزع هناك .. فلماذا لم يتم تصحيح ما فيه من معلومات عن كميل شمعون رئيس الجمهورية الأسبق وزعيم الجبهة المارونية الذي قرر عام ١٩٥٨ التوجه نحو اسرائيل لطلب المساعدة منها .. ولكنه عدل في اللحظة الأخيرة وتوجه نحو ايزنهاور .

وقال الكتاب أيضًا ان أول لقاء لبناني اسرائيلي على مستوى عال تم في أغسطس عام ١٩٧٦ حيث اجتمع كميل شمعون واسحق رابين على متن زورق حربي كان راسيا في ميناء حيفا.

والغريب ان يقال ان اسرائيل كانت في ذلك الوقت تساعد الموارنة وقد وصلت المساعدات التي حصل الموارنة عليها خلال السنوات الثلاث الأخيرة من حكومة رابين إلى حوالي ١٥٠ مليون دولار .

أقول انني كنت اتمنى ان يكذب اللبنانيون ما جاء في هذا الكتاب وهو كثير لأنه أصعب مما ذهب من أجله د. سليم الحص لمقابلة السادات بعد كامب ديفيد.

الزوجة الثانية لعرفات والدور السياسي للمرأة

هدأ الفارس القديم أخيرًا ..

استراح من قلق العمر كله ..

ونقل رأسه من أحضان الوطن إلى أحضان زوجته الشابة .

هل تخلى عن أحلامه القديمة ؟!

أم أنه ما زال ياسر عرفات رمز القضية الفلسطينية التي تعيش الآن اخطر مراحل عمرها .. ؟!

هل اكتشف الرجل أنه لا فائدة .. وانه يجب ألا ينسى نصيبه من الدنيا؟!

أعرف تمامًا أن من حقه ـ مثل أي انسان ـ أن يعيش حياته كما يشاء .. يتزوج .. أو يرفض فكرة الزواج .. يختارها متقاربة منه من حيث التفكير والسن .. أو يختارها من جيل جديد له أفكاره وزمانه .. هذه حريته الشخصية .

وأعرف ان مجرد طرح هذه التساؤلات قد يكون مرفوضًا من أطراف عديدة.

لكني أطرحها من منطلق أن ياسر عرفات ليس رجلًا عاديًا .

أنه بالنسبة لنا نحن شباب هذا الجيل - رمز لثورة انطلقت لتحشد خلفها العالم العربي والإسلامي لتحرير فلسطين .

حلم اسطوري ضيعنا من أجله غضارة الصبا ونضارة الشباب .

وبسببه استشهد الآلاف وما زالت دماء الشهداء في مصر والجولان وفلسطين المحتلة تشهد على أننا ما زلنا نتطلع إلى تحقيقه.

* * *

وحين رفع ياسر عرفات بندقيته في يد وغصن الزيتون في اليد الأخرى .. كنا معه نؤيده .. لأننا كنا نراه رمزًا لقضية نحن على استعداد لأن نبذل الغالي والرخيص من أجلها .

وكانت سقطته الكبرى حين أيد صدام حسين في احتلاله للكويت .. يومها هاجمناه .. وما زالت بعض الأقلام العربية تهاجمه بعنف .

لكننا كنا نعرف أن عرفات رغم ما فعله هو رمز القضية أكبر من أية اخطاء .. وكنا نعرف انه ذات يوم سيعرف خطأه.

وسوف يعتذر عنه ويصححه .. وسوف يغفر له القادة العرب ما دام عاد إلى الصواب .

ورأينا هذا يحدث أولًا في مصر .. فبعد أن هاجمته الصحافة المصرية بعنف لموقفه من أزمة الكويت وأبدى الرئيس المصري حسني مبارك استياءه من تصريحات عرفات وسلوكه خلال الأزمة عاد مؤخرًا إلى مصر واستقبله كبار المسئولين في مصر .. لأنه في النهاية رمز لقضية تهمنا بالدرجة الأولى .. وعرفات نفسه أعلن أكثر من مرة ان الخلافات بينه وبين القيادات العربية سوف تجد حلًا بمرور الأيام.

* * *

عرفات إذن ليس رجلًا عاديًا .. انه شخصية عشنا سنوات عمرنا الأولى نهتف لها .. ونرى فيها حلمنا العربي الكبير الذي لم يتحقق .

وكما فجعنا بموقفه في أغسطس ١٩٩١ خلال أزمة الكويت .. ها هو يدهشنا بزواجه الآن .

والسؤال .. ما الذي دفع قائد الثورة الفلسطينية إلى هذه الخطوة؟

صحيح أنها من حقه .. وهي مسألة شخصية لا يحق لأحد التدخل فيها ..

ولكن السؤال يثور لأننا نحن الذين أحببناه ودهشنا لكلامه يوم أعلن انه تزوج القضية الفلسطينية .

وحين سألوه ذات يوم هل يتمنى أن يكون له أبناء كانت اجابته ان كل الشعب الفلسطيني هم أبنائي .

ما الذي حدث؟!

ولماذا تخلى عن زوجته الأولى وهي القضية الفلسطينية؟

وقد يقول قائل انه لم يتخل عن زوجته الأولى. بل أضاف إليها الأخرى فهل نقول أن الشرع يسمح له بأربع نساء .

ونسأل في سخرية .. اذن هل ننتظر اثنتين أخريين؟!

* * *

كان أحمد لطفي السيد يقول خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدرها هموما .. ويبدو أن عرفات فعل ذلك ولا بد أنه قرأ ما كتبه قاسم أمين ذات يوم وهو : إذا كنت قد شعرت في هذه الحياة بشيء من السعادة ففي الأوقات التي قضيتها في بيتي مع زوجتي وأولادي

ترى هل هوالحنين إلى الوطن متمثلاً في الزوجة ؟!

ومنذ اعلان نبأ زواج عرفات والدهشة تملأ الأوساط الاجتماعية فلسطينيًا وعربيًا .

● عرفات يتزوج ؟!

- أجاب صاحبي .. لماذا الدهشة .. وكل الزعماء الكبار متزوجون ؟!

● الدهشة لأنه نفى من قبل الفكرة .

- عدل عنها .

● إذن نريد أن نعرف .. هل كانت الزوجة الجديدة باهرة إلى درجة أنه لم يستطع الاستغناء عنها .. أم أنه تغيير في أسلوب تفكيره.

- لا تفكير ولا أي شيء .. أنها مسألة اجتماعية شخصية مثل كل الزعماء في التاريخ.

ولكن التاريخ يقول أن زوجات الزعماء لهم غالبًا تأثير كبير على هؤلاء الزعماء وهو ما ينعكس على قراراتهم .. وما يثير الحيرة في موضوع زواج ياسر عرفات .

أنه لم ترك الخبر يتسرب عبر وسائل الاعلام على مدى اسبوع كامل دون أن يتدخل بالنفي أو بالتأكيد .. هذا فضلًا عن أن أول إعلان للخبر ظهر من اسرائيل .. وبعد أن ذكرت الانباء أن الزوجة مسيحية اسلمت عادت أمها لتؤكد أنها لم تسلم بعد وخلاصة القول غامض .. ولأنه يتعلق بشخصية مهمة مثل ياسر عرفات .. لذا فهو موضع مناقشة وتساؤلات.

* * *

أعلنت صحيفة (هآرتس) الاسرائيلية ان الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات تزوج سرًا في تونس قبل بضعة «شهور» من سكرتيرته سها الطويل، وقالت ان سها مسيحية تبلغ الثلاثين من عمرها.

وفي اليوم التالي نقلت وكالة الانباء الفرنسية عن مصدر مطلع في باريس أن عرفات تزوج منذ بضعة «أسابيع» مستشارته الاقتصادية سها الطويل .

وقال المصدر ان عرفات (٦٣ عامًا) تزوج سها (٢٨ عامًا) التي تنتمي إلى طائفة الروم الأرثوذكس لكنها اعتنقت الإسلام في تونس وهي شقيقة ديانا زوجة إبراهيم الصوص مندوب فلسطين العام في فرنسا .

ثم قالت ريموندا الطويل والدة سها لوكالة رويتر للأنباء أنها لا تستطيع ان تنكر ذلك ولكن الاعلان الرسمي من حق الرئيس عرفات .

وقال ريموندا التي وصفتها رويتر بأنها كاتبة ومناضلة فلسطينية «ان الرئيس عرفات هو الزعيم الروحي لجميع الفلسطينيين وهذا الزواج علامة هامة تشير إلى الوحدة بين المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين وهذه التصريحات المتناقضة في بعض معلومات تتفق جميعها في أن عرفات تزوج سها الطويل .

وهي كما تقول والدتها انهت دراستها في المدارس الثانوية الكاثوليكية بالضفة الغربية المحتلة .. ودرست أيضًا العلوم السياسية في السوربون وعملت مستشارة اقتصادية لعرفات لمدة عامين .. وشقيقها يرأس مكتب الاعلام الفلسطيني في واشنطن ووالدها يعيش في رام الله .. وكان مديرا لبنك بريطاني في يافا قبل ان يحال إلى المعاش .

أما ريموندا (والدتها) فهي ترأس مكتب الخدمات الصحفية الفلسطيني في القدس المحتلة .

وما الذي يعنينا من زواج عرفات مع تسليمنا بأن الزواج مسألة خاصة . الذي يهمنا بالدرجة الأولى هو .. هل سيؤثر هذا الزواج على الروح النضالية للزعيم الفلسطيني ؟
بعبارة أكثر شمولاً .. ما هو تأثير المرأة على القضية .

وهل تشهد المرحلة المقبلة ظهور زعامات نسائية بعد أن رأينا د. حنان عشراوي طوال الشهور الماضية متحدثة لبقة في مفاوضات مدريد وواشنطن وموسكو ..

وهل تظهر زوجة الزعيم الفلسطيني الأول بدور سياسي جديد ينقل القضية خطوة إلى الأمام .

ان التاريخ يقول لنا ان المرأة تستطيع إلى حد ما أن تكون زعيمة سياسية والأمثلة كثيرة.

* * *

ولا نريد الذهاب في التاريخ بعيدًا لنتعرف على الدور السياسي للمرأة . ولكن السنوات الأخيرة شهدت نجاح كورازون اكينو التي نجحت في قيادة الفلبين منذ عام ١٩٨٦ ووطدت دعائم الديمقراطية البرلمانية واشاعت مناخ الفلبين وانعشت اقتصاد الفلبين .

وفي اليابان نجحت تاكاكودوي في أن ترأس حزبًا سياسيًا كبيرًا بعد انتخابها زعيمة للحزب الاشتراكي الياباني بالأغلبية .

وفي النرويج نجحت نمروهارلو بروند تلاند زعيمة حزب العمال النرويجي في رئاسة الوزارة التي شكلتها عام ١٩٨٦ من ١٨ وزيرًا بينهم ٨ سيدات وهو رقم قياسي في عدد النساء اللائي يتولين مناصب وزارية .

وهناك سريمافو بندرانيكة رئيسة حزب حرية سيريلانكا التي تولت رئاسة سيريلانكا من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٥ ومن عام ١٩٧٠ حتى ١٩٧٧، وهناك البيجوم خالدة ضياء (٥٢ عامًا) أرملة الرئيس ضياء الرحمن الذي قتل عام ١٩٨٠ في انقلاب عسكري في بنجلاديش ..

وأيضا الشيخة حسينة (٤٢ عامًا) ابنة الشيخ مجيب الرحمن مؤسس دولة بنجلاديش الذي قتل في انقلاب حدث عام ١٩٧٥.

وفي باكستان وصلت بنازير بوتو إلى رئاسة الحكومة ثم خسر حزبها في الانتخابات فتزعمت المعارضة وهي ابنة ذو الفقار علي بوتو رئيس وزراء باكستان الذي أعدم عام ١٩٧٩ بعد انقلاب عسكري اطاح به.

وهناك تشانج تشينج الزوجة الثانية للزعيم الصيني الراحل ماوتسي تونج التي حاولت ان تغير الكثير من العادات والتقاليد والمظاهر السائدة في الصين ..

إلا أن القيادة التي حكمت الصين بعد وفاة ماو اعتقلتها وأودعتها أحد السجون الصينية .

والتاريخ يحفظ ادوارًا بارزة لزعيمات كثيرات في مقدمتهن . انديرا غاندي ومارجريت تاتشر .

ولعلنا ما زلنا نتذكر زوجات الرؤساء اللاتي شاركن أزواجهن في السلطة أو كان لهن تأثير كبير عليهم وفي مقدمتهن ايميلدا ماركوس ونانسي ريجان وجيهان السادات .

ترى هل سيكون هناك دور سياسي لسها الطويل ؟

أقصد سها عرفات ؟!

الاجابة ستحملها لنا الشهور المقبلة .

* * *

الفهرس

الموضوع | الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب القطرية
٨ لسنة ١٩٩٣م

